



كلية: الآداب و اللغات  
قسم: اللغة و الآداب العربي  
تخصص: ادب حديث و معاصر



مذكرة لنيل شهادة ماستر

## فن الترسل رسالة العذراء أنموذجا

اعداد الطلبة:

- مرابط نوال
- مرابط فاطمة الزهراء

إشراف الدكتورة: خاتمة بن هاشم

أعضاء اللجنة المناقشة:

- الأستاذة: رحمانى ليلي
- الأستاذة: بن زرقة شهيناز

الجنة الجامعية 2021/2020

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

"وقل ربي زدني علماً"<sup>1</sup>

"ن وقلم ما يسطرون"<sup>2</sup>

"إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون"<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> - الآية 14 سورة طه

<sup>2</sup> - الآية 01 سورة القلم

<sup>3</sup> - الآية 02 سورة يوسف

## الإهداء

الى والدينا اللذين ندعو لهما بطول العمر

الى كل من كان سندا وعضدا لنا طوال هذا المسار الدراسي ونتقدم بالشكر الكبير الى كل الأساتذة ولأسرة المكتبة بجامعة أبي بكر بلقايد لإعانتهم لي بالمراجع والكتب.

ونهدي هذه الثمرة الى كل من أحب اللغة العربية وآدابها

الى كل طالب علم اتخذ الله وليا والرسول صلى الله عليه وسلم قائدا والاسلام ديننا

والقرآن دستورا.

## خطة البحث

مقدمة

مدخل : فن الترسل وأنواعه

- 1- مفهوم الفن «لغة واصطلاحاً»
- 2- مفهوم الترسل "لغة واصطلاحاً"
- 3- أنواع الرسائل

الفصل الأول: نشأة وفن الترسل وتطوره.

المبحث الأول: نشأة فن الترسل.

المبحث الثاني: تطوره

الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة.

المبحث الأول: شكل الرسائل

المبحث الثاني: البناء الفني للرسائل

الفصل الثالث : رسالة العذراء "لإبن المدبر أممؤذج"

المبحث الأول: ابن المدبر "حياته، ثقافته"

المبحث الثاني: تحليل الرسالة

خاتمة

## مقدمة:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيدنا وحبينا محمد صلى الله عليه وسلم الهادي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم الدين.

بعد دراستنا الطويلة والمعمقة للأدب العربي عبر العصور الأدبية وجدنا أن الكتابة ظهرت منذ القدم في قصص العرب وخطاباتهم ورسائلهم لكنها لم تدون ولم يكتمل بناؤها الفني ثم جاء القرآن الكريم وتبين إعجاز كلام العرب لأن القرآن أثر في الكتابة العربية فحذف ما كان في الجاهلة من ألفاظ.

فظهرت فنون أدبية كثيرة من أمثال وحكم وخطابة ووصايا ورسائل إلا أن هذه الأخيرة لم تنل حضاها من الدراسة والبحث والإهتمام منذ القدم وعبر العصور، وهناك بعض الكتاب الذين سلطوا ضوء على هذا الفن ووفروا له الوقت والجهد وهوفن الترسل يعد من الفنون الكتابة النثرية التي عرفها العرب من القدم ولقيت تطوراً ملحوظاً في القرن الثالث هجري على يد كبار الكتاب كعبد الحميد الكاتب وابن قتيبة وابن الزيات وابن المدبر وابن العميد وغيرهم ممن اهتموا بهذا الفن وساهموا في تطويره حتى بلغ دروته بعد ما كان يعد في العصر الجاهلي كتابة لأغراض سياسية وتجارية فقط وذلك لأن الكتاب في العصر الجاهلي اهتموا بالشعر وأعطوا له أهمية كبيرة دون العناية بالنثر وكان أيضاً من العوامل اهتمام الكتاب الشعر على حساب النثر شفاهية ولم تكن هنالك كتابة وكان الشعر أسهل للحفظ من النثر ولذلك لم تصلنا من العصر الجاهلي كتابات نثرية، وأما في العصر الإسلامي فقد اتسع الفن الترسل واعتبر أداة أساسية لدعوة الإسلام ونشره في مختلف القبائل المجاورة فالرسول صلى الله عليه وسلم اعتمد على الرسالة في تأييد الدعوة الإسلامية وتغيرت في مضامينها وأسلوبها فاعتمدت على الاقتباس من القرآن الكريم، وفي العصر الأموي والعباسي بلغت الرسالة مكانة متميزة في النثر وذلك لأنها حضت بمجموعة من الدراسات التي جعلت لها مجموعة من القواعد والخصائص وشروط لكتابتها فنجد ابن المدبر في رسالته العذراء

وضح فيها الأدوات التي تمكن الكاتب والبلغ من الإجادة والتفوق في الكتابة بحث كان له عدة نصائح للكاتب في الكتابة وهذا ما جعلنا نطرح عدّة تساؤلات: ما هو فن الترسل؟ ومتى نشأ وتطور وماهي أنواع والخصائص الفنية التي اعتمدها؟

ونحن نختار هذا الموضوع لدراسة لشدة الإعجاب بهذا الفن وأيضاً نرى معظم البحوث في فن الترسل لم تدرس رسالة العذراء لابن المدبر ولقد اعتمدنا في دراستنا لهذا الموضوع على المنهج التاريخي مع الاستعانة بالمنهج الوصفي حين تعلق الامر بالظواهر الفنية وذلك في دراستنا لفن الترسل عبر العصور والطريقة التحليلية لدراسة الرسالة ابن المدبر وتحليلها واستخراج أهم الخصائص الفنية التي تناولها.

ولقد فرضت الإشكالية المطروحة الخطة المناسبة للبحث فقد قسمناه إلى مدخل مقدمة وثلاث فصول وخاتمة.

فخصصنا المدخل لدراسة فن الترسل وأنواعه حيث استعرضنا مفهوم الفن لغة واصطلاحاً، والترسل لغة واصطلاحاً ثم اشرنا إلى أنواع الرسائل وتناولنا بعد ذلك في الفصل الأول نشأة فن الترسل وتطوره، وفي الفصل الثاني تناول خصائص الفنية للرسالة وأما في الفصل الثالث فتناولنا فيه تحليل رسالة العذراء لابن المدبر وتأتي بعد ذلك لتحمل أهم النتائج المتوصل إليها.

واستعنا في بحثنا على مجموعة من المصادر والمراجع وأهمها فوزي سعد عيسى "الترسل في القرن الثالث الهجري"، و"صبح الأعشى" للقلقشندي، شوقي ضيف "الفن ومذاهبه في النثر العربي"، محمد مسعود جبران "فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب "عمر الفروج" تاريخ الأدب العربي"

وفي سبيل إخراج هذا البحث واجهتنا عدّة صعوبات ومن أهمها قلة المراجع التي تناولت رسالة العذراء لابن المدبر وأيضاً قلة المراجع التي تناولت حياة الأديب "ابن المدبر"

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نتقدم بالشكر الجزيل إلى الاستاذة المشرفة خناتة بن هاشم التي  
تفضلت بالإشراف على هذه المذكر بتقديم التوجيهات والملاحظات، فجزاها الله خيراً، وجعلنا  
منارة من منارات العلم.

مدخل : فن الترسل

وأنواعه

# مدخل: فن الترسل وأنواعه

مدخل: فن الترسل وأنواعه.

## 1- فن الترسل وأنواعه

أ. مفهوم الفن :

- لغة:

ذكر صاحب لسان العرب ابن منظور تعريفاً لكلمة الفن فهو: الفن وتحد فنون، وهي أنواع والفنُّ حالٌ والفنُّ الضربُ من الشيء وجمع أفنانٌ وفنونٌ وهو أفنونٌ : يقال : رعيْنَا فنونَ النباتِ وأصبنا فنونَ الأموالِ والرجلُ يفنُّ الكلامَ أي يشقُّ في فنٍ بعد فنٍّ والرجلُ فنٌّ والرجلُ كفنٌ: بأني بالعجائب والمرأة مِفنةٌ ، وأفتنَّ أحدَ الفنونِ من القولِ والفنونِ اخلاطُ من الناسِ وابنُ المجلسِ يجمع فنوناً من الناسِ أي ناساً ليسوا من قبيلةٍ واحدةٍ وفننَ الناسَ جعلهم فنوناً والتفنينَ : التخليطُ يقال ثوب فيه تفنينٌ إذا كان فيه طرائقُ ليست من جنسه.<sup>1</sup>

وجاءت مفردة الفن في معجم الصحاح في: فن: فنانٌ يحترفُ الفنَ فنِّي - فنِّي الشيءُ فناءً وفنَّاءً وأفناءً وأفناه غيره وتفانوا أي أفنَى بعضهم بعضاً في الحرب وفناء الدار ما امتد من جوانبها ، فنان عصامي من تفوق في حرفته وعرف تفصيلها وأساليبها معرفة فنية فيقال في السباكة.<sup>2</sup> وجاءت أيضاً في كتاب العين الفن حال، والفنون: الضُرُوبُ، يقال رعيت فنون النبات توأصنا فنون الأموال ، ويجمع أفنان وافانين الشباب أوئلُهُ ويقال الأفانين أشياء مختلفة مثل ضروب الرياح وضروب الرياح وضروب السيل، وضروب الطبخ، الرجل يفنن الكلام أي يشق في فن بعد فن.<sup>3</sup>

- اصطلاحاً:

إن كلمة الفن تدل على معاني شتى ومع اختلاف ما تصاف إليه الكلمة "فن" فإن لها معنى أساسياً واحداً وهو الحذق أو المهارة التي يبلغ بها المرء مقصده بعد تدبر وتمعن ثم هي بعد ذلك

<sup>1</sup> - ابن منظور- لسان العرب- مجلد 11 دار صادر بيروت لبنان، الطبعة الرابعة، ص 230-231.

<sup>2</sup> - الجوهري: الصحاح في اللغة والعلوم، المجلد الثاني، دار الحضارة العربية بيروت لبنان، ص 262-703.

<sup>3</sup> - الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين، المجلد الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2003، 1424، ص 342-343.

## مدخل: فن الترسل وأنواعه

لها معنيان عام وخاص؛ الفن بمعناها العام تشمل أي عمل أو مجموعة من الأعمال الإنسانية والمنظمة التي ترمي إلى هدف معين وتدل على شيء من الحدق والمهارة وعلى هذا يندرج تحت المعنى العام لكلمة الفن جمع الحرف والصناعات أيًا كانت إمّا معناها الخاص فيعني كل عمل راقٍ يهدف إلى ابتكار ما هو جميل بين الصور والأصوات الحركات والأقوال وإذا فالفن في مفهومها الخاص في الأعمال الإنسانية المنظمة الراقية التي تقوم على العلم.<sup>1</sup>

الفن هو التطبيق العملي للنظريات العلمية بالوسائل التي تحققها ويكتسب بالدراسة والمرانة وجملة التواعد الخاصة بحرفة أو الصناعة وجملة الوسائل التي يستعملها الإنسان لإثارة المشاعر والعواطف وبخاصة عاطفة الجمال، كالتصوير والموسيقى والشعر ومهارة يحكمها الذوق والمواهب في فنون.<sup>2</sup>

الفن بشكل عام يتضمن قدرًا من شعور إلا أن ذلك أمر نسبي يخضع لعوامل فردية وموضوعية معقدة، ولقد أصبح الفن يثير في المتلقي قدرًا من الشعور يساير تجربته الذاتية والفن يقوم على دعامتين أساسيتين وهما الخيال والانفعال حتى يؤدي وظائفه.<sup>3</sup>

وعرفه ميشال عاصي\* أن الفن هو الفعالية الإنسانية التي تستهدف خلق الجمال وابداعه وذلك بواسطة الوسائل والطرق التي يتخذها الإنسان، وسيلة ومادة، لعمل تعبيره جميل والفن أيضا هو أحد النشاطات الإبداعية العملية، التي يشتمل عليها القطاع العقلائي والفنان هو إنسان ذو شخصية متميزة بجوهرها وحدودها وأبعادها وإمكاناتها والفنان هو نفسه محتوى فنه، وفنه حينئذ أيضا تلقائي من ذاته التي هي في نهاية حصيلة تفاعل جدلي بينها وبين ذوات الآخرين والذات الاجتماعية العامة.<sup>4</sup>

<sup>1</sup> - عبد العزيز عتيق ، في النقد الأدبي ، دار النهضة العربية بيروت لبنان، الطبعة الأولى، ص10-11.

<sup>2</sup> - إبراهيم أنيس، الدكتور عبد الحليم منتصر ، عطية الصواحي ، محمد خلف الله أحمد "معجم الوسيط" الجزء الثاني، دار الفكر، ص 703.

<sup>3</sup> - عبد القادر الرباعي، الصورة الفنية في النقد شعري الدراسة في النظرية والتطبيق ، دار حرير لنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى 1420 هـ -

2009م ص 71.

\* ميشال عاصي: أديب وناقد لبناني ولد 1927 وتوفي 1993.

<sup>4</sup> - ميشال عاصي "الفن والأدب" ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1970، ص 34-35.

## مدخل: فن الترسل وأنواعه

نستخلص مما سبق أن الفن وهو عملية إبداعية تقوم على المهارة والخيال من أجل قيان بأي عمل وإبداع فيه.

### ب. مفهوم الترسُّل:

- لغة:

وردت مفردو الترسُّل في لسان العرب لابن منظور من رَسَلَ الرَّسَلَ: القطيع من كل شيء والجمع أرسال والرَّسَل الإبل والرَّسَل قطيع بعد قطيع وراسلة مراسلة، فهو مرَّاسِلٌ ورسيلٌ والرَّسُلُ والرَّسَلَةُ الرَّقْصُ والتَّؤَدَةُ والتَّرسُّلُ في القراءة والترسيل واحد قال وهو التحقيق بلا عجلة وتَرَسَّلَ في قراءته اتاد فيها وتَرَسَلَ الرَّجُلُ في كلامه ومشيته إذا لم يعجل والترسلُ من الرُّسُلِ في الأمور والمنطق كالتمهل والتوفر والتَّشْبُتُ وجمع الرِّسَالَةِ الرِّسَائِلُ قال ابن جنية الترسل في الكلام التوفر التفهم والترفق من غير أن يرفع صوته شديدا والرسول بمعنى الرسالة ويقال رسولك وتراسل القوم، أَرَسَلَ بعضهم إلى بعض والرسول الرِّسَالَةُ والرُّسُلُ.<sup>1</sup>

وأرسل يرسل إرسالاً وهو مرسلٌ، واسم الرسالة أو رَاسَلَ يُرَاسِلُ مراسلةً وهو مراسلٌ وذلك إذا كان هو من يرأسله فن اشتركا في المراسلة واصل الاشتقاق في ذلك أنه كلام يرأسل به من بعيد فاشتق له اسم الترسل والرسالة من ذلك.<sup>2</sup>

ويعرفه الزمخشري في كتابه أساس البلاغة: رَسَلَ: راسله في كذا وبينهما مكاتبات ومراسلات وتراسلوا

وارسلته برسالة وبرسول و أرسلت إليه أن أفعل كذا وارسل الله في الأمم رُسلًا وامرأة مراسيلٌ، مات بعلها فبينها وبين الخطاب مراسلة وفي عنقها مُرسلةٌ، وفي أعناقهن مرَّاسِلٌ: قائد.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - ابن منظور - لسان العرب - مجلد السادس دار صادر بيروت لبنان، ص 152-153.

<sup>2</sup> - أبي حسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب "الكاتب" برهان في وجوه لبيان "مكتبة الشباب"، مطبعة الرسائل، ص 152، تحقيق دكتور جفني محمد شرف

<sup>3</sup> - زمخشري تحقيق: محمد باسل عيون السود "أساس البلاغة"، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ص 353.

## مدخل: فن الترسل وأنواعه

كما جاء في معجم المحيط الرَّسَلُ قطع من كل شيء، جمع أرسال، والإبل أو قطع منها ومن الغنم والتَّرْسُلُ، اللبنُ وأرسلوا كثر رسلهم والإرسال: التسليط والإطلاق والإهمال والتوجيه والاسم رسالة والرسول أيضاً المرسلُ جمع أرسلُ ورسلُ ورسلاءُ والترسيلُ في القراءة، الترتيل، والأحاديث المرسلة التي يرويها المُحدِّث إلى التابعي ثم يقول التابعي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والمرسلات الرياح أو الملائكة أو الخيل.<sup>1</sup>

فالرسالة هي كل ما يرسل من كلمة شفوية أو مكتوبة يبلغها الرسول يحملها إلى من ترسل إليه، وهذه الكلمة تختلف طولاً وقصراً على حسب موضوعها.<sup>2</sup>

### - اصطلاحاً:

لقد تعددت المفاهيم الاصطلاحية وتنوعت حول مفهوم الرسالة فعناك ما عرفها على أن الرسالة هي ما يكتب المرسل على ورقة من أخبار ومعلومات على شكل خطاب لإرسالها إلى المرسل إليه وهناك أيضاً الرسالة الشفوية وهي عبارة عن كلام ينقله المرسل إلى مرسل إليه مباشرة، والرسالة هي فن أدبي قديم ازدهر وانتشر في القرنين الثالث والرابع هجريين وهو فن نشري جميل يُظهر مقدرة الكاتب وموهبته الكتابية ورعة الأساليب البيانية المنمقة القوية.<sup>3</sup>

ولقد عرفها جيرالد برانس أن الرسالة هي أحد مكونات الرئيسية لأي فعل من أفعال التواصل اللفظي، إن الرسالة هي نص مادة الدالة سلسلة من العلامات التي يتعين فك شفراتها التي يقوم المرسل بإرساله إلى المرسل إليه.<sup>4</sup>

ويعتبر الأدباء الأندلسيين أن الرسالة هي ما ينسأه الكاتب في نسق فني جميل في غرض من الأغراض ويوجهه إلى شخص آخر ويشمل ذلك الجواب والخطاب ويطلقون أيضاً لحظة

<sup>1</sup> - محب الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي "قاموس المحيط" الجزء الثاني، دار الإحياء التراث العربي بيروت لبنان، طبعة جديدة محققة الأولى، ص 1330.

<sup>2</sup> - عبد العزيز عتيق "في النقد الأدبي" نفس مرجع السابق 221.

<sup>3</sup> - مجموعة من العلماء والباحثين "الموسوعة العربية العالمية" حرف الراء- الزاد، مؤسسة الأعمال الموسوعية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية ص 202.

<sup>4</sup> - جيرالد برانس "قاموس السرديات" ترجمة السيد إمام، مرست للنشر والمعلومات: الطبعة الأولى، ص 107.

## مدخل: فن الترسل وأنواعه

الرسالة أحيانا على قصائد ومقطوعات شعرية التي ينظمها الشاعر على شكل خطاب موجه إلى صديق أو غيره في أي موضوع<sup>1</sup>، فهي تعتبر ندا لشعر وكفؤا له كما يؤكد ذلك ابن قتيبة في معرض حديثه عن اوقات التي ينال فيها النشر الفن الجميل على قرائح ويرد فيها الشعر على خواطر يقول: كذلك الكلام المنشور في الرسائل والمقامات والجوابات وفني يتعذر على الكاتب الأديب والبلوغ الخطيب.<sup>2</sup>

والرسالة المراد فيها امور يرتبها الكاتب: من حكاية خال من عدو أو صيد أو مدح وتقريض أو مفاخرة بين شيعين أو غير ذلك مما يجري هذا المجرى وسميت رسائل من حيث أن الأديب المنشئ لها ربما كتب بها إلى غيره مخبرا فيها بصورة الحال مفتحة بما تفتتح به المكاتبات، تم توسع فيها فافتتحت بالخطب وغيرها<sup>3</sup>

ولقد جاءت في " التعريفات " الرسالة هي المحلة المشتملة على قليل من المسائل التي تكون من نوع واحد، والمحلة هي الصحيفة يكون فيها الحكم.<sup>4</sup>

ولقد فرق أبو هلال العسكري في تعريفه للرسالة ضمن كتابة الصناعتين أن الرسائل والخطب متشاكلتان في أنهما كلام لا يلحقه وزن ولا تقطيه وقت يتشكلان أيضا من جهة الألفاظ والفواصل. فألفاظ الخطباء تشبه ألفاظ الكتاب في السهولة والعدوبة، وكذلك فواصل الخطب، مثل فواصل الرسائل، ولا فرق بينهما إلا أن الخطبة يشتافه بها، والرسالة يكتب بها، زما يعرف أيضا من الخطابة والكتابة أنهما مختصتان بأمر الدين والسلطان.<sup>5</sup>

1 - فايز عبد النبي فلاح القيس "أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري"، دار السير، الطبعة الأولى، ص 78-79.

2 - فايز عبد النبي فلاح القيس، المرجع نفسه، ص 84-85.

3 - القلقشندي "صبح الأعشى" الجزء الرابع عشر، دار كتاب السلطانية بالمطبعة الأميرية قاهرة 1338هـ - 1919م، ص 138-139.

4 - السيد شريف ابي حسن علي بن محمد بن علي الحسيني الجرجاني الخفزي "التعريفات"، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى

1421 هـ - 2000، ص 113.

5 - أبو هلال العسكري "كتاب الصناعتين الكتابة والشعر" تحقيق علي محمد بجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية ص

142.

## مدخل: فن الترسل وأنواعه

نلخص مما سبق أن الرسالة هي فن نثري جميل وهو عبارة عن كلام ينقله المرسل إلى المرسل إليه عن طريق ورقة وتتضمن مجموعة من الأخبار ومعلومات أو هي لون أدبي الذي يشمل جمع الموضوعات المتبادلة بين الناس على اختلاف طولها.<sup>1</sup>

### أنواع الرسائل

لقد تعددت وتنوعت الرسائل في العالم الأدب العربي حتى أصبحت تعد من كتابات النشر الفني وانتشر الأدبي الجميل وتعددت أنواعها من رسائل ديوانية، رسائل إخوانية، رسائل أدبية.

### الرسائل الديوانية:

وهي الرسائل الصادرة عن ديوان الخليفة أو الأمير يوجهها إلى ولاته وعماله وقادة جيوشه، بل إلى إعدائه أحيانا منذرا ومتوعداً<sup>2</sup>، وهي الرسائل التي تعالج أمر السياسة العامة للدولة، من حيث الإدارة والتنظيم الداخلي والتشريع والقضاة والاقتصاد وما إليها من مهام تتعلق بالحياة العامة وشؤون الرعية<sup>3</sup>، والرسائل الديوانية هي أيضا التي تصدر عن دواوين الدولة وتتناول تصريف أعمال الدولة وما يتصل بها من تولية الولاية وأخذ البيعة للخلفاء وولاية العهود، ومن الفتوح والجهاد، ومواسم الحج والأعياد والأمان وأخبار الولايات وأحوالها في المطر والخصب والجذب، وعهود الخلفاء لأبنائهم ووصاياهم ووصايا الوزراء والحكام في تدبير السياسة والحكم فالرسائل التي تصدر من السلطان في الأمر والنهي سبيلها أن تؤكد بجهة كفيلة، وأما الرسائل الصادرة من العمال إلى الأمراء ومن فوقهم فينبغي أن يراعي في ذلك موضوع الرسالة عبارة عن تقرير يرفعه العامل إلى الوالي حصيلة أعماله فيجب الإطالة والإسهاب في الشرح حتى لا يعاذر صغيرة ولا كبيرة مع انتقاء الألفاظ سهلة الفهم مع تجنب الاستكراه والتعقيد<sup>4</sup>، والرسائل الديوانية تكتسب أهميتها وخطورتها بوصفها لسان حال الدولة وعليها تعتمد ترتيبها وتسيير أمورها وتحديد علاقاتها

<sup>1</sup> - فايز عبد النبي نفس المرجع السابق، ص 87.

<sup>2</sup> - عبد العزيز عتيق، نفس المرجع السابق، ص 222.

<sup>3</sup> - نفسه.

<sup>4</sup> - مصطفى البشير القط "مفهوم النثر الفني وأحناسه في النقد العربي القديم" دار البازوري العلمية لنشر والتوزيع الأردن، عمان، الطبعة 2009، ص 124-125.

## مدخل: فن الترسل وأنواعه

مع دول أخرى وعليها تعتمد هيبتها، وتستند إليها أركانها فهي قوام الملك وضبط قواعده لذلك كانت العناية بها كبيرة لا سيما في الأندلس حيث كان الأندلسيون كثيرون الانتقاد على كاتب الرسائل لا يتساهلون معه ولا يغفرون له زلة.<sup>1</sup>

ولقد تنوعت موضوعات الرسائل الديوانية فكان منها رسائل الجهاد التي يوجهها الخلفاء إلى قوادهم يكلفونهم فيها بالغزو، ويزينون إليهم الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمته واعتمدت هذه الرسائل على المعاني الدينية ويتصل بهذا اللون من الرسائل ما كتبه كتاب الدواوين في التهاني بما تحقق من فتوحات وظفر على أعداء المسلمين وكان استهلال رسائل التهنة بالفتوحات بالتحميدات وعالجت أيضا الرسالة الديوانية الأحداث الداخلية والفتن والاضطرابات التي واجهت العباسيين ولقد تعددت خصائص الرسالة الديوانية في تضمين الآيات القرآنية وتضمين أبيات الشعر فذلك لتدعيم آرائهم وتقوية حججهم وقد عمد كتاب الرسائل الديوانية إلى الوضوح في معانيهم وأفكارهم حتى تؤدي الرسالة الغرض الذي انشئت من أجله وتصل إلى الناس في يسر وسهولة، وتراوحت الرسائل بين الطول والقصر فإذا كان مضمون الرسالة أو مناسبتها تقتضي الإطناب فإن الكاتب يسهب في بسط معانيه ويفصل فيها وإذا كان المضمون يقتضي الإيجاز كرسائل الغزل أو ما يشبهها فإن الكاتب يؤدي غرضه بأوجز عبارة دون التقصير أو إخلاء وأيضا اخذوا يصطنعون السجع ويعتمدون عليه فأصبح السيمة الأساسية فيها واستخدموا الإزدواج والتوازن والطباق والمقابلة وعمدوا إلى تقطيع عباراتهم وتقصيرها توليد ضروب الموسيقى<sup>2</sup>، ومن الرسائل الديوانية كما عمرو بن العاص إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه " لعبد الله عمر أمير المؤمنين، السلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أمّا بعد فإنه أتاني كتاب أمير مؤمنين يذكر فيه فاشبية مال فشالي، وأنه يعرفني قبل ذلك ولا مال لي، وإني أعلم أمير المؤمنين أني ببلد العسر فيه رخيص، وإني أعالج من الزراعة ما يعالجه الناس وفي الرزق أمير المؤمنين سعة

<sup>1</sup> - عبد الحليم حسين المروط "النثر الفني عند لسان الدين فن الخطيب" دار حير لنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ص 44.

<sup>2</sup> - فوزي سعد عيسى "الترسل في القرن الثالث الهجري" دار المعرفة الجامعية اسكندرية، طبعة 1991م، ص 31-30-19-18.

## مدخل: فن الترسل وأنواعه

و والله لو رأيت خيانتك حلالا ما خنتك ، فأقصر أيها الرجل فإن لنا أحسابا هي خير من العمل لك، إن رجعنا وإليك عشنا بها ! و لا عمري أن عندك من لم يذم معيشته ول تدم له، فإن كان كذلك فلم يفتح فقلك ولم يشركك في عملك<sup>1</sup>

### الرسائل الإخوانية:

كان يرسلها الكاتب إلى بعض أصدقائه أو خلائه أو من يريد أن يخاطب مودته وكانت هذه الرسائل مما يتقن فيها كبار الكتاب والأدباء يثون فيها عواطفهم الشخصية في لغة مصقولة منتقاة وقد اعترف النقاد بقيمة هذه الرسائل، لا تشترك الكافة في الحاجة إليها والكاتب إذا كان ماهراً تسهل له فيها ما لا يكاد أن يتسهل في الكتب التي لها رسوم لا تتغير<sup>2</sup> ، ونقصد أيضا بالرسائل الإخوانية هي الرسائل التي تصور عواطف الأفراد ومشاعرهم من رغبة ورهبة وهجاء ومن عتاب واعتذار واستعطاف ومن تهنئة واستمناع ورتاء أو تعزية، وهذه الرسائل الإخوانية التي كانوا يصورون بها عواطفهم ومشاعرهم هي التي تتناول خصال النفس الإنسانية وتصور أهوائها ولأخلاقها وتوضح لها طريقها إلى الخير لا تسقط في مهاوي، فالرسالة الإخوانية السبب يبحث واسع في واجبات لإخوان وحقوقهم وعلى هذا النحو أخذ بعض الكتاب ينمون الرسائل الإخوانية في غدت رسائل أدبية بديعية<sup>3</sup> وقد راج هذا الضرب من الكتابة الأدبية في العصر العباسي وكثيرا ما اتخذ بعض الأدباء وسيلة للتسلية وتمرين القريحة دون أن تكون هناك داعية إخوانية إلى ذلك وقد صرح بذلك الأديب شاعر ابن الورد في ديوان شعره ونثره. وكذلك الأديب الكاتب شهاب الدين محمود الحلبي في كتابه "حسن التوسل"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - القلقشندي "صبح الأعشى" الجزء السادس ، نفس المرجع السابق، ص 447-478.

<sup>2</sup> - عبد العزيز عتيق، نفس المرجع السابق، ص 223.

<sup>3</sup> - شوقي ضيف "العصر العباسي الأول" دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، ص 502-505.

<sup>4</sup> - محمود رزق سليم الأدب العربي وتاريخه في العصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث " دار الكتاب العربي بمصر، الطبعة 1377هـ -

1957م، ص31.

## مدخل: فن الترسل وأنواعه

وتميزت الرسائل الإخوانية بعدة خصائص وذلك لكثرة موضوعاتها وكيف نافست الشعر في موضوعاته كالمدح والهجاء والتعزية والاعتذار واستعطاف بل لقد نافست الشعر في أخص موضوعاته ونعي بذلك الغزل، فوجدنا من الكتاب من يتخذ الرسالة وكان لتصوير عواطفه الذاتية إزاء من يحب وقد دفع تفنن الكتاب في معانيهم بالشعراء إلى التأثير بهم ومجاراتهم فتجاوز النثر المرحلة التي أصبح فيها أسيراً للشعر ليحقق بذلك استقلالية واضحة وأصبح

الشعراء هم من يقلدون الكتاب في معانيهم وأساليبهم، وقد لاحظ ذلك طه حسين\* فقال "هذا التطور الذي تطوره النثر في القرن الثالث دعا الشعراء إلى أن يسطو على النثر، ويأخذوا منه كما كان الكاتب يأخذون من الشعر. كما دعا الشعراء إلى أن يطرقوا فنونا لم يطرقوها من قبل، فكثير منهم من تروقه جملة أو معنى فينظمه في بيت من الشعر، ورأى بعض الشعراء كابن الرومي أن الكتاب تياح لهم أن يتفننوا في معانيهم ويطيّلوا في فكرتهم، وأن يبسطوها بسطا فأراد أن يقلدهم في هذا فأطال واسرف حتى بلغت قصائده أطول حد عرف في الشعر العربي، وبعد أن كانون الكتاب يتعقبون الشعراء أصبح الشعراء يتأثرون بالكتاب، وينصرفون عن ألفاظ الشعراء القديمة إلى ألفاظ الكتاب وأساليبهم"

وقد جاءت الرسائل الإخوانية خالية من التكلف فقط اهتموا باختيار الألفاظ وتقسيم العبارات والجمل وتوفير لون من الإيقاع من خلال الموازنات الصوتية.<sup>1</sup>

### الرسائل الأدبية:

هي الرسائل التي لا توجه إلى شخص بذاته، وإنما يكتبها الكاتب ليقراها الناس جميعاً، وهذا النوع من الرسائل أشبه ما يكون بالمقالات في العصر الحديث وفيها يتناول الكاتب موضوعاً خاصاً أو

<sup>1</sup> - فوزي سعد عيسى - الترسل في القرن الثالث الهجري، نفس المرجع السابق، ص 48-49.

\* طه حسين أديب وناقد مصري ولد في مصر 1889، توفي في 1973.

## مدخل: فن الترسل وأنواعه

عاماً تناولاً أدبيّاً، مبنياً على إثارة العواطف قارئ ومشاغره.<sup>1</sup> ومنها الرسائل الأدبية المطولة التي يكتبها البلغاء ويسجلون فيها خواطرهم ويدونون آراءهم فيها يعني لهم من شؤون الاجتماع أو الفكر أو الآداب. أو يعملون على تأييد مذهب وتفضيل فريق على فريق ، أو يكتبونها في الترويح عن النفس أو الفكاهة والسخرية، ونحو ذلك بما يتجلى في السير و الاسمار والخرافات والأخبار والقصص كرسائل الخميس التي يكتبها البلغاء في هذا العصر لقرأ فر خرسان تأييدا للدعوة والدولة والخلافة وكرسائل ابن المقفع\* وككتب الجاحظ ورسائله مثل: البخلاء، والتربيع والتدير والحاسد والمحسود<sup>2</sup> وهن النوع من الرسائل لا يدخل من باب التأليف وليس من باب الترسل ويكون ذلك نادراً كرسالة لأبي العلاء المعري\*\* والرسالة الهزلية ابن زيدون التي كتبها على لسان ولادة بنت المستكفي إلى ابن عبدوس منافسه في الحب و السياسة ورسائل ابن شهيد في الأندلس التي تخاطب الأمراء والملوك وفي بعض الآخر مخاطبة الأدباء، كما ألف رسائل أخرى تتناول قضايا اجتماعية وتاريخية بالإضافة إلى الأدبية ومن أشهرها رسالة التوابع والزوابع وسميت بشجرة الفاكهة حيث خاطب بها كاتبها صديقه أبا بكر بن حزم حينما تساءل معجبا ببلاغة صديقه، قد حاول ابن شهيد تحليل ذلك في مطلع رسالته إن كان قليل الإطلاع ويملك موهبة طبيعية.<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - عبد العزيز عتيق، نفس المرجع السابق، ص 223.

<sup>2</sup> - عبد المنعم خفاجي "تاريخ الأدب في العصر العباسي"، مكتبة الكليات الأزهرية الأزهر القاهرة، الطبعة الثانية 1401هـ-1981م ، ص 27.

<sup>3</sup> - يوسف عيب، دفاثر أندلسية، مؤسسة الناشر "طرابلس" الطبعة الأولى 2006م، ص 539.

\* ابن المقفع ، مفكر فارسي ولد 724م توفي 759م

\*\* أبي العلاء المعري ولد في سوريا سنة 923م توفي 1057م

# فصل الأول: نشأة وتطور فن الترسل

## فصل الأول: نشأة وتطور فن الترسل

### فصل الأول: نشأة وتطور فن الترسل

#### المبحث الأول: نشأة وتطور فن الترسل

يعد النثر من الفنون الأدبية القديمة بحيث اختلفت وتعددت أنواعه وأشكاله من خطابة وأمثال والرسائل وهذه الأخيرة وصلت إلى مكانة سامية بين فنون النثر العربي لذلك وجب علينا أن نقف على نشأة الرسالة ومراحل تطورها في مختلف عصورها من العصر الجاهلي إلى العصر العباسي.

#### أ. مرحلة العصر الجاهلي

جاء العصر الجاهلي ممثلاً ومضوراً لحياة الجاهلية أصدت تمثيل وأوضع تصورا ومعبرا عن كل جوانب الحياة منها السياسية كانت أو الاجتماعية أو دينية أو العقلية وأهم العوامل المؤثرة في الأدب الجاهلي البيئة كانت معظمها صحراء وأرض شاسعة ينذر فيها الكلاً لذلك كان يكثر فيها الارتحال بحث عن الرزق وأما الحياة الاجتماعية و الساسية حيث كان السكان الجزيرة العربية يعيشون عيشة القبيلة، فالقبيلة عندهم هي الوحدة التي يبنى عليها نظام حياتهم الدينية كان للعرب في الجاهلية دين ضعيف كانوا يعبدون الأوثان والأصنام أما الحياة العقلية التي تضم المعارف لم تأتي جملة ولم يصلوا لأبيها دفعة واحدة بل هي ضروب جميعها من المعرفة الأولية تقوم على التجربة الناقصة وكل هذه العوامل أثرت في الأدب الجاهلي<sup>1</sup> وكان الأدب الجاهلي مهتما أكثر بالشعر في شتى مجالاته وفنونه وقد عنى الكثير من الباحثين والدارسين بدايته والكتاب كانت معروفة في العصر الجاهلي ولكن معرفة لا محدودة، فلم يكتبوا بها كتباً ولا قصصاً ولا رسائل أدبية إنما استخدموا الكتابة لأغراض سياسية وتجارية ولكنهم لم يخرجوا بها إلى أغراض أدبية خالصة تتيح لنا أن نزعم أنه وجد عندهم لون من ألوان الكتابة القيمة<sup>2</sup> وإنما هي كتابة التي تهدف إلى مجرد نقل الأفكار والتي تكون تنقيح العبارة وتجويدها سبيلاً إلى دقة

<sup>1</sup> - ينظر محمود رزق حامد "الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي" دار العلم والایمان للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2010 ص 47-50-53.

<sup>2</sup> - شوقي ضيف "الفن ومذاهبه في النثر العربي" دار النشر العربي" دار المعارف 1119 كورنيش النيل القاهرة، الطبعة العشرة ص 19.

## فصل الأول: نشأة وتطور فن الترسل

الدلالة على المعنى المنشود في المقام الأول<sup>1</sup>. انتشر في العصر الجاهلي هو النثر العادي الذي يتخاطب به الناس في شؤون حياتهم اليومية وليس بين ايدينا وثائق جاهلية صحيحة تدل على أن الجاهلين عرفوا الرسائل الأدبية وتداولها وليس معنى ذلك أنهم لم يعرفوا الكتابة ، فقد عرفوها غير أن صعوبة وسائلها جعلتهم لا يستخدمونها في الأغراض الأدبية الشعرية والنثرية ومثل ثم استخدموها في الأغراض السياسية والتجارية<sup>2</sup>. كما يقول شوقي ضيف : إن الكتابة لم تكن حينئذ بجانب أغراضها السياسية والتجارية أغراضاً أدبية او فنية من تجويد وتحبير، إذ لم تكن أكثر من كتابة بساذجة أدت أغراضاً خاصة في عصرها وانتهى هذا الغرض<sup>3</sup>.

أتمودج عن رسالة في العصر الجاهلي: كتاب عمر بن هند إلى عامله بالبحرين "صحيفة المتلمس" روي أن طرفة بن العيد وخاله المتلمس واسمه جرير بن عبد المسيح كنا ينادمان عمر بن هند مالك الحيرة فهجواه، فكتب لهما إلى المكعبر عامله على البحرين كتابين، وأهمهما أنه أمر لهما بجائزة وكتب إليه يأمره بقتلهما فخرجا فلاقيا غلاما من أهل الحيرة فقال له المتلمس: أتقرأ يا غلام؟ قال: نعم، فكف صحيفة ودفعها إليه فإذا فيها "باسمك اللهم من عمر بن هند الى المكعبر. اما بعد فإذا أتاك كتابي هذا مع متلمس فاقطع يديه ورجليه وأدفنه حياً، فقال لطرفة : ادفع إليه صحيفتك ليقراها، ففيها ما في صحيفتي ! فقال طرفة كلا ! لم يكن يجتري عليا، فقدف المتلمس في نهر الحيرة، واخذ نحو الشام و اخذ طرفة نحو البحرين ، فأتي مكعبر فقطع يديه ورجلين ودفنه حيا.<sup>4</sup>

### أ. مرحلة العصر الإسلامي

<sup>1</sup> - عبد العزيز نوي، دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الثالثة 1427-2006، ص 300.  
<sup>2</sup> - حتى عبد الجليل يوسف "الأدب الجاهلي قضاياه وفنونه ونصوصه" مؤسسة المختار لنشر والتوزيع القاهرة - الكعبة الأولى 1421-2001م ص 480-481.  
<sup>3</sup> - شعيب حسين منصور "حركة حياة الأدبية بين الجاهلية والإسلام، دار القلم الكويت، الطبعة الأولى 1401هـ - 1981م، ص 66.  
<sup>4</sup> - أحمد زكي صفوت ، "جمهرة رسائل العرب في العصور العربية القاهرة العصر الجاهلي وعصر الإسلام"، المكتبة العلمية لبنان ، الطبعة الاولى، ص 12-13.

## فصل الأول: نشأة وتطور فن الترسل

بدأ العصر ببعثة الرسول صلى الله عليه وسلم عام 610 ميلادي كانت نقطة تحول للأدب العربي من الفترة الجاهلية إلى الإسلام حيث هز وجدان العرب وغير مسار حياتهم وخاصة الحياة الثقافية فقد تغيرت فلم تعد قاصرة على الأسواق الشعر مثل سوق عكاظ والمحاز بل تغيرت نظرتهم فأصبحت تأخذ من الدين وعلوم القرآن فازدهر في المجتمع الإسلامي فن التوقيعات والرسائل وازدهرت الكتابة أيضا وتعددت أغراضها<sup>1</sup> قد عمد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى نشر الدعوة سلماً والدفاع عنها وقد كانت الحاجة إلى كتابة الرسائل من الحاجات الملحة في هذا المجال نظراً لبعده المسافات وكثرة القضايا التي ظهرت في المجتمع الجديد وكانت بحاجة إلى تنظيم وحل، مما جعل هذه الرسائل أداة رئيسية في الدعوة إلى إسلام ووسيلة مهمة للاتصال بين النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأتباعه من المسلمين أو الخلفاء الذين كانوا منتشرين هنا وهناك أو بينه وبين الأطراف التي كان يدعوها باستمرار إلى الإسلام أو بينه وبين خصوصية وأعدائه الذين يكيّدون له ولدعوته وللمسلمين عامة<sup>2</sup>، ولقد انقسمت الرسائل في العصر الإسلامي إلى نوعين هما الديوانية والإخوانية أولاً ديوانية ويصدر عن إدارات الدولة وشخصياتها على مختلف المستويات وتدور عادة حول السياسة الخلافة وإدارة شؤون المجتمع و الثاني رسائل شخصية التي كان القدماء يدعوها رسائل إخوانية أو باختصار الإخوانيات وهي تصدر عن افراد الرعية فيها بينها وتدور غالباً حول همومهم الخاصة ولعل الرسالة الإخوانية الخاصة الوحيدة التي نقلها لنا التاريخ هب الرسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى معاذ بن جبل يعزيه في ابن له مات وفيه يقول "...فعظم الله لك الأجر، وألهمك الصبر، ورزقنا وإياك الشكر، ثم أن أنفسنا وأهلينا وموالين من مواهب الله السنية و عوارفه المستودعة... وكان ابنك من مواهب الله الهنيئة و عوارفه المستودعة ، متعك به في غبطة وسرور، وقبضه منك بأجر كبير..." وقد يشك بعضهم في رسالة بأنها ليس في وثائق النبوة ما ينسب إلى مثل هذا

<sup>1</sup> - ينظر حمدي الشيخ للتطور والتحديد في الأدب الإسلامي والأموي، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الأولى 2012، ص 07-10.

<sup>2</sup> - محمد المقداد "تاريخ فن الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام"، دار الفكر المطبعة العلمية بدمشق الطبعة الأولى 1413 هـ 1933م، ص 83.

## فصل الأول: نشأة وتطور فن الترسل

اللون من الرسائل<sup>1</sup>، وكانت الرسائل شتى بنوعيتها أصعب من أن تحصى كثرة في صدر الإسلام، وكانت تتطرق إلى شتى موضوعات التي قهّم الناس آنذاك حكماً ورعية، غير أن الكثرة الغالبة مما وصل إلينا منها كانت صلة مباشرة ووثيقة بحركة التاريخ وخصوصاً بمركز صنع الأحداث حول النبي صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين والصحابة، أي أن تلك الرسائل كانت تتمثل بالإسلام دعوة، وبالخلافة إدارة وتنظيماً وبالاجتماع ترتيباً وتوجيهاً، وقد بلغ الاهتمام الناس عامة بكتابة الرسائل أو الرد عليها في تلك الآونة أنهم كانوا يروون قولاً لابن عباس نصح: رأى زدّ الجواب كرد السلام ملحاً بذلك إلى قوله تعالى ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾\* وقد أيد صولي ذك بشعر غير منسوب.

يقول فيه صاحبة

إذا جاء الكتاب إلى صديقٍ فحَقَّ واجبٌ رَدُّ الجواب<sup>2</sup>

و إمتاز أسلوب الكتابة في العصر الإسلامي بسهولة ووضوحها وقصدها إلى الغرض وبعدها من التكلف وخلوها من عبارات التفخيم، وتأثرها بالقران وأسلوبه واقتباسها منه، وميلها إلى الإيجاز، وكانت الرسائل تبدأ "باسمك اللهم" ثم يقول من فلان إلى فلان ثم يلي ذلك غالباً قولهم السلام عليكم أو السلام على من اتبع الهدى، ثم نينون يقولهم "إني أحمد الله إليك ثم يأتي الكاتب غالباً بأما بعد ويذكر غرضه الذي يكتب لأجله، وختمها بقول "السلام عليكم ورحمته الله" ومن نماذج ما كتبه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى هرقل في السنة السابعة من الهجرة وقد بعث رسول الله بهذه الرسالة:

بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم سلام على اتبع الهدى، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم نسلم أسلم يؤتيك الله أجراك مرتين، فإن توليت

<sup>1</sup> - جابر قميحة" أدب الرسائل في صدر الإسلام" الجزء الأول عهد النبوة، دار الفكر العربي القاهرة، الطبعة الأولى 1406 هـ - 1976م ص 104-105.

<sup>2</sup> - نفس المرجع السابق، ص 74-75.

\* الآية 86.سورة النساء، القران الكريم، رواية ورش عن نافع.

## فصل الأول: نشأة وتطور فن الترسل

فإنما عليك إثم الأريسيين\*\* ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - عبد المنعم خفاجي "الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية 1980، ص 156.

\* الآية 64 سورة آل عمران

\*\* الأريسيين: الأريسية هي مذهب مسيحي واحدى الطوائف التي لم يعد لها وجود في الوقت الراهن تنسب إلى اريوس أحد كهنة اسكندرية وتمحور تعاليمها المختلفة عن سائل الطوائف في علاقة أقاليم ثالوت الأقدس بعضها البعض ، وطبيعة هذه الأقاليم.

## فصل الأول: نشأة وتطور فن الترسل

### مرحلة العصر الأموي:

يمتد العصر الأموي اثنين وتسعين سنة هجرية من السنة 40 هـ - 660م لما استبدل معاوية بن أبي سفيان بحكم الشام ونادى بنفسه خليفة وكانت مظاهر الأدب في العصر الأموي أربعة الشعر والخطابة والترسل ثم الرواية فالترسل كان من الفنون التي استحدثت في العصر الأموي أو الفن الذي أصبح له في ذلك العصر حدوده وشروطه الثابتة وخصائصه المتميزة على الأقل فالرسالة في العصر الأموي تطورت وأصبحت ذات قواعد وأصول أصبح للرسالة مطالع وفيها تحميدات تختلف باختلاف مقام الذين تصدر عنهم وتوجه إليهم، ثم لها خواتم تختلف أيضاً بحسب ذلك، وكان حدث في متن الرسالة أشياء من السجع والموازنة ومن الترداد المقصود، ومن التأنق في التعبير والجمل ثم طالت الرسائل أيضاً على أن الترسل ظل في العصر الأموي في الاكثرية فناً رسمياً يتعلق بأمور الدولة وربما استشهد الكتاب في الرسائل بالشعر، إلا إذا كانت الرسالة موجهة إلى الخليفة، فإن الشعر فرسالة موجهة إلى الخلفية كان مكروهاً، وكان في العصر الأموي رسائل لم تكن في شؤون سياسية رسمية بل نصائح عامة في الحرب<sup>1</sup>، وكثرت المكاتبات في العصر الأموي وعرفت الرسائل بمختلف أنواعها فكانت هناك رسائل سياسية والتي كانت تدور بين الخلفاء وولايتهم، قد يكتب بها الخلفية إلى أحد مناوئيه ومما زاد في شيوعها كثرة الأحزاب السياسية المعارضة للدولة وكثرة الفتن والثورات التي نشبت في العراق وخرسان ورسائل الإخوانية وهي ضرب من الرسائل التي تدور حول موضوعات شخصية اقتضتها بعض الظروف من موت يقتضي التعزية أو ولاية تفتضي التهنتة أو إعداد مشاعر حامة من عتاب أو اعتذار أو شيء حال أو شفاعة عن وال لقريب أو صديق ورسائل الوعظية وهي

لون من الكتابات التي تدور حول الوعظ والإرشاد.<sup>2</sup>

### أنموذج من رسالة في العصر الأموي:

<sup>1</sup> - عمر الفروخ، تاريخ الأدب العربي دار العلم للملايين بيروت، الطبعة السابعة 1997، ص 375.

<sup>2</sup> - سامي يوسف أبو زيد "الأدب الاسلامي والأموي"، دار الميسرة للنشر والتوزيع والطباعة، الطبعة الأولى 2012 م - 1433 هـ ، 353-350-346.

## فصل الأول: نشأة وتطور فن الترسل

رسالة عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف لما أسرف الحجاج بن يوسف في قتل أسارى دير الجماجم، وإعطائه الأموال، بلغ ذلك عبد الملك بن مروان فكتب إليه<sup>1</sup>:  
" أما بعد، فقد بلغ أمير المؤمنين سرفك في الدماء، وتبذيرك في الأموال ولا يحتمل أمير المؤمنين هتين الخصلتين لأحد من الناس، وقد حكم عليك أمير المؤمنين في الدماء في الخطأ الديّة، وفي عمد القوّد، وفي أموال رُدّها إلى مَوْضِعِهَا، ثم العمل فيها براهيه، فإنما أمير المؤمنين أمين الله وسيان عنده منع حق وإعطاء باطل، فإن كنت أردت الناس له فما أغناهم عنك، وإن كنت أرجتم لنفسك فما أغناك عنه، وسيأتيك من أمير المؤمنين أمران : لينٌ و شدةٌ فلا يؤنسّك إلى الطاعة ولا يوحشك إلى المعصية وظن بأمر المؤمنين كل شيء إلا احتمالك على الخطأ وإذا أعطاك الظّفَر على قوم فلا تَقْتُلَنَّ حَانِحاً ولا أسيراً وكتب في أسفل كتابه:

وتطلب رضائي بالذي أنا طالبهُ	إذا أنت لم تتركْ أموراً كرهتها
إلى الله منه ضيَع الدار حَالِبُهُ	وتخشى الذي يخشاه مثلك هَارِباً
فبياً ربّما قد غَصَى به الماء شاربه	فإن ترى مني غَفْلَةً قُرْشِيَتاً
فبهذا وهذا كل ذا أنا صَاحِبُهُ	وإن ترى مني وثْبَةً أمويّةً
فإنك مَجْرِيٌّ بما أنت كَاسِبُهُ	فلا تُلْمَنِي وحوادِثُ جَمّةً

<sup>1</sup> - عمر الفروخ، نفس المرجع السابق، ص 375.

## فصل الأول: نشأة وتطور فن الترسل

### مرحلة العصر العباسي:

كان العصر العباسي عصراً متميزاً في فيض العلوم وازدهارها المعرف في ضحى العصر العباسي مما أدى إلى ازدهار النثر الفني الأدبي والنثر العلمي والنثر الفلسفي وعذت الكتابة وعاء للعلوم العصر ومعارفه<sup>1</sup> فازدهر الكتابة الديوانية في عهد بني عباس ازدهاراً كبيراً وبلغت حداً كبيراً عالياً من الجودة ومستوى رفيعاً عن البلاغة والكتابة الديوانية كان أهمها الرسائل المتبادلة التي تتعلق بأعمال الدولة ورسائل التهديد والبشائر<sup>2</sup> وأيضاً الكتابة الرسمية وهي تلك العبارات الوجيزة التي كان يعلق خلفاء بني العباس من خلالها على موضوع رفع إليهم أو قضية وضعت بين أيديهم وهن أفاعون بالتوقيعات والرسائل الإخوانية وتمثلت رسائل الشوق والمودة ورسائل الدعوة ورسائل الإهداء ورسائل الشكر ورسائل التواصي، رسائل التهئة رسائل التعزية.... فالرسائل الإخوانية قد وحدث في مختلف العصور لكنها كثرت كثرة بالغة في عهد بني عباس وكانت رسائل العصر العباسي تتميز ببعض الخصائص وتمثلت في وضوح المعاني، دقة التعبير عنها وتزيينها بالصورة الفنية وتحوّي الأيجاز والاقتصاد في التعبير وبمرور الزمن أصبح العباسيون يهتمون بالمبالغة في اتأنق العبارة، والميل إلى شتى ضروب البديع والميل إلى اسهاب في العبارات والإطناب في القول.<sup>3</sup>

وكانت ترجمة ابن مقفع للأدب الكبير وما جاء في كتاباته للحديث عن الإخاء والمودة مادة غزيرة للكتاب كي تستمد منها كل ما يريدون من تصوير الأخوة الحقة والصدافة الصادقة، ويصور ذلك من بعض الوجوه رسائل لجبل بن زيد إلى بعض إخوانه وهي تجري على هذا النمط ، " اعلم أنني إليك مشوق وأن صلة الأخوان كرم، وخير الصلات ما لم يكن لها وجه إلا الرجاء و الحفظ والتجديد المودة وتصحيح يخاء، فإن الذي يكاتب إخوانه على حال الرغبة... أن أحب مال به إلى الصحة، وإن يشاء وضعه للرغبة والرغبة أملكهما به، والذي يكاتب إخوانه على حال الضرورة

<sup>1</sup> - عمر الدقاق "مواكب الأدب العربي عبر العصور" ريع الدار المخصص لصالح ابناء الشهداء في القطر العربي السوري دمشق، الطبعة الأولى 1988، ص 118.

<sup>2</sup> - محمود عبد الرحيم صالح "فنون النثر في الأدب العباسي"، دار حرير لنشر والتوزيع عمّان، الطبعة الثانية 1426 هـ 2006، ص 81.

<sup>3</sup> - المرجع نفسه ، ص 122.

## فصل الأول: نشأة وتطور فن الترسل

---

فقد يستقطع الصلة عن الحديث مخافت الملامة من الناس على القطيعة الشنعاء المشهورة لإخوانه. فإن الذي لا مودة له قد يصل ذلك في تلك القطيعة بأهل البلاء، وكتاب على مثل حالنا وحالك اليوم شاهد على أن ذلك ليس إلا صحة الإخاء والشوق إلى محادثة بالكتاب حين لا يلومونك اللائمون لمترلة البلاء تلك اللائمة على التقصير ولا توضع منك الرغبة في الإطماع. إياك أن تغتَلَ بالاشغال أن كنت في خاصة نفسك، فإن أراد الحق وصلة الإخوان أعظم الخاصة بك خاصة وأما أمرنا في كل هذا كأمرك في الذي تستغني به من خاصتك تلك التي لنا، فان لنا مالك وهذه التي لنا لك أليس ما سرنا شرك والله يوفقنا وإياك.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - شوقي ضيف، نفس المرجع السابق، ص 492-493.

# الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

### الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

#### المبحث الأول: شكل الرسائل

مقدمة: وهي عرض أولي أو مدخل، أو تصدير أو تمهيد للبحث المفصل في إحن العلوم، أو إحدى النظريات<sup>1</sup>، والمقدمة تارة تطلق على ما يتوقف عليه لأبحاث الآتية، وتارة تطلق على القضية جعلت جزء القياس، وتارة تطلق على ما يتوقف عليه صحة الدليل، ومقدمة الكتاب ما يذكر فيه قبل المشروع في المقصود لارتباطها ومقدمة العلم ما يتوقف عليه مشروع، فالمقدمة الكتاب أعم من مقدمة علم بينما عموم وخصوص مطلق<sup>2</sup>، أما الافتتاح في الرسائل فجاء في صيغ متعددة ومختلفة، و دالة بالخصوص على المرسل أو المرسل إليه مع مقارنتهما بالدعاء وتقديم أحدهما أو تأخيرها ولنبدأ إذا بصيغة الافتتاح الدالة على المرسل وهذا من خلال القول التالي " من أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أيدهم الله بنصره، وأمدّهم بمعونته" أما صيغة الافتتاح الدالة على المرسل إليه فوجدتها عند القبوري\* على لسان العزفيين إلى الخليفة الموحد وفي هذا القول "الحضرة الكريمة الإمامية أبقاها الله موكلة بالدين الخيفي" ونفس الصيغة تتكرر مع ابن خطاب: الحضرة الكريمة حضرة مولانا الأمير الأعلى أبي إسحاق أيّد الله جنودها، وضاعف سعودها" وهذه الصيغ خاصة بالخلافة والخليفة وأمير المؤمنين من الألقاب الرسمية للخلافة، وكذلك صيغة الاستفتاح في الرسائل الأدبية فهي "سيدي" و"يا سيدي" و"الخليل" و"الجلال" و"الفقيه الأجل" و"الحمد لله" و"لا قوة إلا بالله" وكما نجد كل هذه الصيغ متبوعة بالدعاء مثل "كسيدي و ذخيرتي ومالك أزمّة أمري، أبقاك الله مأوى الغريب، وسرور الكتيب وملجأ الآمال عند الازدحام الأحوال و

<sup>1</sup> - د: رميل يعقوب، د، بسام بركة، مي شيخاني "قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية"، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، الطبعة الأولى فبراير 1987، ص 370.

<sup>2</sup> - جرجاني "كتاب التعريفات"، دار الكتاب العلمية، بيروت، لبنان الطبعة الأولى، 1421-2000، ص 223.

\* ابن عميرة: أديب وشاعر ولد في اسبانيا 1186 توفي في تونس 1258.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

الخطوب" وأيضاً كانت المقدمة في الرسائل الأدبية يستفتحها الكاتب بأبيات شعرية مثل يقول ابن عميرة\* في إحدى رسائله إلى صديقين له:

تحية منك أتني  
ويا لها أذكرت عهداً  
طابت كما طاب مراسلها  
قلبي والله ما سلاها

أمّا الرسائل الموجهة إلى الشخصيات التي كان لها وزن كبير في المجتمع وذلك كشخصية الفقيه أو القاضي فنجد صاحبها يستفتحها بـ مثل هذا "كسيدي الشيخ الصالح الأجل" مثل تحرير الكاتب القبتوري الذي يقول في استفتاحها "سيدي الشيخ الصالح العالم البقية الفاضلة أبو محمد بن الشيخ المرحوم أبي عمران الغشتالي، أبقاه الله لأهل الدين والفصل علماً..."<sup>1</sup> وهناك رسائل تبدأ بالخطبة مثل ما كتب الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي\*\* عن الخليفة الحاكم بأمر الله بن أبي الربيع سليمان المتقدم ذكره "أما بعد، فالحمد لله مؤتي الملك من يشاء من عباده و معطي نصر من يجاهد فيه حق الجهاد، فمرهف حسام انتقامه على من جاهر بعناده، ومفوض أمر هذا الخلق إلى من أودعه سر رأفته في محبته ومُراد نعمته في مراده، وجامع كلمة الإيمان بمن إحتباه لإقامة دينه وارتضاه لرفع عماده ومقر الحق في يد من منع تسبيقه المُجرد في سبيل الله أن يقر في أغماده وناصر من لم تنزل كلمة الفتوح مسكنت في صدور سيوفه جارية على أسلته صداه"<sup>2</sup>

أما في البيعات كانت الرسائل تبدأ بالبسملة مثل: بيعة المنتصر بالله فقد افتتحها "بسم الله الرحمن الرحيم: تباعون عبد الله المنتصر بالله أمير المؤمنين بيعة طوع واعتقاد، ورضا ورغبة، بأخلاص سرائركم، وانسراح من صدوركم، وصد عن نباتكم... إلخ". وهناك بعض الكتاب ما يفتتح

<sup>1</sup> -الظاهر توات "أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع الثامن الهجريين الجزء الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، مزينة ومنقحة، ص 107-105-103-120.

<sup>2</sup> - أحمد قلقشندي، الجزء العاشر، ص 54.

\*\* شهاب ابن محمود: محدث ومفسر وأديب وشاعر ولد في بغداد العراق 1802 توفي 1854.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

الرسالة بلفظ "كتابي" كما كتب الصابي عن الوزير أبي عبد الله الحسن بن سعدان إلى فخر الدولة بن بُوَيَّة في بسارة فتح "كتابي - أطل الله بقاء مولانا الأمير الجليل فخر الدولة... ومولانا الملك السيد صَمَّصَام وشمس الملة...". وأيضاً بلفظة "كتبت" مثل "كتبت، أطل الله بقاء سيدنا صاحب الجيش، والعين عبّرى والكبد حرى والصبر مسلوب، والعزاء مغلوب...". وأيضاً أن يفتتح بالخطاب مثل: ما كتب صاحب ديوان الإنشاء إلى شجاع الدولة وزير دمشق "أيها السيد الرئيس الحامي عن يسره، والذي قصر إلا في النعالي، رُبَّ ناء بحسمه وهو دانٍ بقلبه...". وتفتح بصدرت أو أصدرت مثل ما كتب صاحب ديوان الإنشاء في زمن المسترشد إلى أبي الفرج سعد بن محمد تشوقاً "صدرت هذه الجملة إلى فلان، ولواعجُ الأشواق إليه متضاعفة مُترادفة، واستمرار الصبر على البعد عنه قد رث قواه، وهن عزاه...<sup>1</sup>

وجعل استلام في ابتداء الرسالة لأنه تحية الإسلام المطلوبة لتأليف الكلام، فكما أنه يفتتح به الكلام طلباً للتأليف كذلك تفتتح به المكاتبات إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم "ألا أنيئكم بشيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشو السلام بينكم"<sup>2</sup>

### الموضوع:

يعتبر الموضوع الغرض الأساسي للكتابة أي عمل أدبي سواء كان قصة أو شعراً أو رسالة وهذه الأخيرة تنوعت موضوعاتها على حسب أنواع الرسائل، فالرسالة الديوانية تمثلت موضوعاتها في رسائل الجهاد وهي التي كان يوجهها الخلفاء إلى قوادهم يكلفونهم فيها بالغزو ويزينون إليهم الجهاد مثل رسالة أحمد بن الخصب عن المنتصر حين أمر أحد قواده بغزو الروم في أرضهم وجاء فيها "قال عز وجل آمراً بالجهاد مفترضاً له: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾\* ورسائل التهاني بما تحققت من

1 - القلقشندي: صبح الأعشي الجزء الثامن ص 138-139.

2 - القلقشندي: صبح الأعشي الجزء الثامن ص 229.

\* الآية 41 من سورة التوبة.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

فتوحات وظفر على أعداء المسلمين كرسالة إبراهيم بن العباس أتى لاستهلالها بالتحميد و شكر الله على نصره على المؤمنين وهزيمته أشياع الضلال ويقول فيها "الحمد لله الغالب ذي القدرة، والقاهر ذي العزة الذي لم يقابل بالحق باطلاً في موطن من موطن التحاكم بين عبادته إلا جعل أولياء الحق منهم حزبه وجنده، وجعل الباطل بهم فلا منكوبا، ودحضا زهوقا..." وأيضاً تمثلت موضوعات الرسائل الديوانية في الأحداث الداخلية للدولة والفتن واضطرابات وأيضاً تناولت موضوعاتها مبايعة الخلفاء وأوامر الخلفاء بتولية من يختارونهم من الولاة أو عزلهم<sup>1</sup>.

أمّا الرسائل الإخوانية وهي الرسائل التي كان يرسلها الكاتب إلى بعض أصدقائه وكان يصور فيها مشاعره وعواطفه فتمثلت موضوعاتها في الشوق والحنين مثل ما كتب أبو منصور الثعالبي\* النيسابوري وجاء فيها " شوقي إليك رهين قلبي وقرين صدري، والزعيم بتعليق فكري وتفريق صبري، سميّر ذكري، ونديم فكري، زادي في سفري، وعتادي في حضري لا يستقل به صدري ولا يقوى عليه صبري يكاد يكون لزاما ويعدّ غراما، لا يرحل مقيمته، ولا يصرف غريمه، واستخف نفسي واستفزها وحرك جوانحي وهزها شوق أخذ بسمعي خاطري وبصره..."<sup>2</sup>

ورسائل موضوعها التعزية مثل ما كتب أبو منصور الثعالبي "خبر عزّ علي مستمعه وأثر في قلبي موقعه خبر تستاء له المسامع وترتج منه الأضالع ، خبر يهد الرّواسي ويفلق الحجر القاسي، كادت له القلوب تطير والعقول تطيش ، ونفوس تطيح، خبر يسيب الوليد ويذيب الحديد."

قد كان من الحزن أن تنقبض الألسن عن هذا النعي الفادح وتخرس، وتقصر الأيدي عن التعزية بهذا الرزد الفادح وتبيس<sup>3</sup>. رسائل الوصية والنصيحة تمثلت الوصية في وصية عمر بن الخطاب إلى بعض قواده "أمّا بعد فإني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال، فإن تقوى

1 - فوزي سعد عيسى، نفس المرجع السابق، ص 18، 19، 20، 26.

2 - السيد أحمد الهاشمي "جواهر الادب في الأدبيات وانشاء لغة العرب"، دار المعرفة بيروت لبنان، طبعة الثانية 1428-2007 ص 43.

\* عبد الملك بن محمد بن اسماعيل أبو منصور الثعالبي "من أئمة اللغة والأدب ولد في إيران 961م توفي 1038م.

3 - السيد أحمد الهاشمي، نفس المرجع السابق، ص 140.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

الله أفضل العدة على العدوّ وأقوى المكيدة في الحرب وأن تكون أنت ومن معك أشد احتراساً من المعاصي منكم من عدوكم... "رسالة النصيحة تمثلت في نصيحة فتاة لأبيها" قالت أعرابية تنصح أباهاً بمجانبة السرف: حبس المال انفع للعيال من بذل الوجه في السؤال، فقد قل النوال، وكثر النجال، وقد أتلقت الطارف والثلاد وبقيت تطلب ما يأيدي العباد ومن بحفظ ما ينفعه أو شك أن يسعى فيما يضره<sup>1</sup> وتناولت أيضا الرسائل الإخوانية موضوع الاعتذار باعتباره. يمثل صورة من صور العلاقة المتبادلة بين الكتاب فكان الكاتب يعتذر لصديقه عن تلبية الدعوة أو مشاركة في إحدى المناسبات ذكرا له أسباب التي حالت دون تلبية دعوته، فمن ذلك رسالة كاتب محمد بن مكرم\* جاء فيها "نبت بي عنك غرة الحداثة، فردتني إليك التجربة، وباعدتني عنك الثقة بالأيام، فأدنتني إليك الضرورة ثقة بإسراعك إليّ، وإن أبطأت عنك، وبقبولك لعذري وإن قصرت عنا واجبك، وإن كانت ذنوبي قد سدّت مسالك الصفح عني فراجع في مجدك وسؤددك، وإني لا أعرف موقفا أذل من موقفي، لولا أن المخاطبة فيك لك، ولا خطة أدنى من خطتي، ولولا أنها في طلب رضاك.<sup>2</sup>

ورسائل موضوعها العتاب ومن ذلك ما كتبه ابن الرومي\* في كتاب صديق له قدم من سيراف فأهدى إلى جماعة من إخوانه ونسيه "...وبلغني أدام الله عزك أن سحابة من سحابت تفضلك أمطرت مند أيام مطراً عم إخوانك بهدايا مشتملة على حسن و طيب، فأنكرت على عدلك وفضلك خروجي منها، مع دخولي في جملة من يعتدك ويعتقدك، وسبق إلى قلبي من ألم سوى الظن برأيك أضعاف ما سبق إليه من الآلام بفوت الحظ من لطفك، فرأيت مداواة قلبي من ظنه، وقلبك من سهوة، واستبقاء الود بيننا بالعتاب الذي يقول فيه القائل:

<sup>1</sup> - المرجع نفسه ص 154، 160.

<sup>2</sup> - فوزي سعد عيسى، نفس المرجع السابق، ص 37-38.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

"ويبقى الود ما بقي العتاب، وفيما عاتبت كفاية عن من له اذنك الواعية وعينك الراعية"<sup>1</sup> والرسائل الأدبية من موضوعاتها ما يتصل بالأدب والفكر مثل رسالة الجاحظ إلى أبي الوليد محمد بن أحمد بن أبي دواد بعنوان المعاش والمعاد.<sup>2</sup>

ورسالة ابن المقفع "في السلطان" من الأدب الكبير:

"لا تمكن أهل البلاء الحسن عندك من التدلل عليك، ولا تمكن من سواهم من الاجترأ عليهم والعيب لهم ، لتعرف رعيتك أبوابك التي لا تنال ما عندك من الخير إلا بها والأبواب التي لا يخاف خائف إلا من قبلها، أحرص الحرص كله على أن تكون خابراً أمور عمالك ، فإن المسيء يفرق من خبرتك قبل أن تصيبه عقوبتك وإن المحسن يستبشر بعلمك قبل أن يأتيه معروفك ليعرف الناس في ما يعرفون من أخلاقك أنك لا تعاجل بالثواب ولا بالعقاب فإن ذلك أذومٌ لخوف الخائف ورجاء الراجي"<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> - سامي يوسف أبو زيد "الأدب العباسي النشر"، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، الطبعة الأولى 2011م-1432 هـ ص 191-192.

\* ابن الرومي: أبو حسين علي بن العباس بن جريح شاعر ولد في العراق 836م وتوفي 896م.  
<sup>2</sup> - محمد طه الحاجري "مجموعة رسائل الجاحظ" دار النهضة العربية بيروت 1983 ص 113. طبعة محققة

<sup>3</sup> - سامي يوسف أبو زيد، نفس مرجع السابق، ص 193.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

### الخاتمة:

القسم الأخير من المؤلف يشتمل عادة على موجز للبحث مع أهم النتائج التي توصل إليها<sup>1</sup> والختام أن يكون الكلام مؤذيا بتمامه بحيث يكون واقعا على آخر المعنى فلا ينتظر السامع شيئا بعده، فعلى الشاعر والناثر أن يتأنق ويؤجودا فيه ما استطاعا لأنه آخر ما ينتهي إلى السمع ويتدرد صدها في الأذن ويعلق بهواشي الذكر فهو كمقطع الشراب يكون آخر ما يمر الفم ويعرض على الذوق فيشعر منه بما لا يشعر من سواه، ولذلك ينبغي أن يكون الختام مميزا عن سائر الكلام قبله بأسلوب رشيد أو معنى بليغ ويختار له من اللفظ الرقيق والحاشية الخفيف المحمل على السمع السهل الورد على الطبع ويتجافى به عن الإسهاب والتعقيب والثقل وغير ذلك وحكم الختام أن يكون منتزعا مما سبقه فيقضى به تقديرا لشيء من الأعراس أو اجمالا لمفصلهما مورداً على وجه وجوه البلاغة أو الكلام الجامع أو مخرجا مخرج المثل أو الحكمة أو ما شاكل ذلك مما تعلقه الخواطر وتقيدته الأذهان<sup>2</sup>، فإن الخواتم في الرسائل فكانت في الغالب بلفظ "السلام" أو تعبير "رحمة الله وبركاته" وأنه يكون مسبوqaً بالدعاء وفي هذا يقول أحدهم "ربط الله تعالى على قلبكم بالصبر الجميل، وأنا لكم ثواب الاحتساب مكمل التتميم متمم التكميل، وتكفل لكم من سلامة النفس، وسعادة اليوم المرية على سعادة الأمس بما يربي على التأمل، وهو سبحانه يحرس مجادتكم ويديم سعادتكم، ويصل ودادتكم، والسلام" ويقول الدباغ الفاسي في ختام رسالته إلى ابن الأحمر\*\* والله تعالى يبقي بركته، ويديم عافيته، ويتمم ما جنحت إليه طباعه، سارع إلى تهذيبه من التوايف الشريفة، والتصانيف المنيفة يرعه والسلام الأتم يعتمد كماله، ورحمة الله وبركاته، من عظم قدره أحمد بن محمد الدباغ" وهذا ما نلاحظه الدعاء يسبق التحية وذلك في كل الرسائل سواء الرسمية أو الأدبية.<sup>3</sup>

1 - د.رميل يعقوب، بسام بركة، مي شيخاني، نفس المصدر السابق، ص 191.

2 - السيد أحمد الهاشمي، "جواهر الأدب في الأدبيات وانشاء لغة العرب" ج1 دار الجليل، طبعة جديدة محققة ومنقحة، ص 37.

3 - الطاهر توات نفس المرجع السابق، ص 111.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

ونجد أيضا رسائل خواتمها تمثلت في التأريخ المتمثل في اليوم، والشهر والسنة وللتدليل على هذا نورد بعض التعابير والخاصة بخاتمة رسالة ابن خلدون إلى ابن الخطيب والتي يقول في ختامها "والله يلحفكم جميعا رداه العافية واستر ويمهّد لكم محلّ الغبطة والأمن، ويحفظ عليكم ما اسبغ من نعمته ويجربكم على عوائد لطفه وعنايته، والسلام الكريم يخصكم من المحب الشاكر الداعي اشائق سعة فظلكم: عبد الرحمن بن خلدون ورحمته الله وبركاته في يوم الفطر عام اثنين وسبعين وسبع مئة 772هـ"<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - الطاهر توات نفس المرجع السابق، ص 111-112.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

### المبحث الثاني: البناء الفني للرسائل

ان تطور الرسالة في تاريخ الأدب العربي واهتمام الكتاب ببيائها وعناصرها وبشروطها جعلها تتميز بعدة خصائص تمثلت في:

#### التضمنين والاقتباس

التضمنين وهو أن يدخل الشاعر أو الكاتب في شعره أو نشره اقوالاً مشهورة لغيره ومن أمثلة قول الشهاب بن الأنباري:

قد أجوحت سمعي إلى ترحمان

وَقَلْ لِمَن لَامَكَ فِي وَصَلِهَا

وقول ابن نباتة المصري:

فيالك من شعرٍ ثقيلٍ مطــــوّل

أتاني علي الابن ياسي منشداً

كجلمود صخر حطة السيل من عل

مكرٍ مفرٍ مقبلٍ مدبرٍ معاً

ففي المثال الأول ضمن الشاعر بيته عجز بيت مشهور لعوف بن محلم السعدي حيث يقول:

قد أجوحت سمعي إلى ترحمان

إن الثمانين وبلغتها

وهذا يسمى التضمنين الجزئي، لأن الشاعر أثبت جزءاً من البيت المشهور أما في المثال الثاني فقد ضمن الشاعر قصيدته بيتاً كاملاً مشهوراً لأمرئ القيس في وصفه فرسه وهو: مكر مفر... وهذا يسمى التضمنين الكلي: لأن الشاعر اثبت كل الجزء المشهور وهو البيت الكامل.<sup>1</sup>

والتضمنين أيضاً عند البلاغيين هو أن يضمن الشاعر شيئاً من شعر غيره مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - يوسف أبو العدوس "مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني - علم البيان - علم البديع"، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان، الأردن، الطبعة الأولى 2007م - 1427هـ، الطبعة الثانية 2010م - 1430هـ - ص 184-185.

<sup>2</sup> - محمد أحمد قاسم محي الدين ديب "علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني" المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس لبنان - الطبعة الأولى 2003 ص 133-134.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

والتضمنين هو أن يأخذ المتكلم كلاماً من كلام غيره ويدرجه في لفظة لتأكيد المعنى الذي أتى به، فإن كان كلاماً كثيراً أو بيتاً من الشعر فهو تضمنين، وإن كان كلاماً قليلاً أو نصف بيت فهو إبداع.<sup>1</sup>

أما الاقتباس يعده الجاحظ من أوائل من أشار إليه فقد ذكره أن الخطباء، قد يضمنون شيئاً من آيات ذكر الحكيم، كما مثله شعراء في شعرهم والكتاب في رسائلهم، وقال الجرجاني: هو أن يضمن كلام شيئاً من القرآن أو الحديث.<sup>2</sup>

ولقد قسم الاقتباس من القرآن على ثلاث أقسام: مقبول، مباح، ومردود وذكر أن الأول ما كان في الخطب والمواعظ والعهود، ومدح النبي صلى الله عليه وسلم، ونحو ذلك والثاني ما كان في الغزل والرسائل والقصص ووزعوا الثالث على ضربين: أحدهما ما نسبته الله تعالى إلى نفسه، واستعاذوا بالله ممن بنفسه إلى نفسه والآخر أن تورث آية كريمة في معنى الهزل وقد حرّموه.<sup>3</sup>

أمّا في النثر فقد كثر الاقتباس بحيث أصبح يشكل أسلوب لا بد منه عند المؤرخين من الكتاب النثر، ولقد أورد حماوي\* طائفة من المواعظ والرسائل والخطب تضمنت الكلام من كتاب الله العزيز من ذلك ما كتبه القاضي محي الدين بن الظاهر في رسالته التي كتبها عن السلطان المالك الظاهر إلى الشمس الدين وما يزال الاقتباس قائماً في الخطب وبخاصة في خطب الجمع التي يستمع إليها المسلمون قبل الصلاة إذ ما يزال الخطباء يضمنون خطبهم بآيات الذكر الحكيم، وبالأحاديث النبوية الشريفة إذ مثل هذا الاقتباس بعزز موقف الخطيب، بقوى الفكرة أو الموضوع الذي هو بصدده.<sup>4</sup>

\* ابن نباتة شاعر وكاتب وأديب ولد في مصر 1287 توفي 1366.

<sup>1</sup> - حسني عبد الجليل يوسف "علم البديع بين الإتياع والإبتداع دراسة نظرية وتطبيقية في شعر الخنساء، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر تليفاكس الإسكندرية، الطبعة الأولى 2007م، ص 42.

<sup>2</sup> - أحمد حسن حامد، "التضمنين في العربية بحث في البلاغة والنحو" دار العربية للعلوم ودار الشروق، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م، ص 24.

<sup>3</sup> - محمد مسعود جبران "فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب" المجلد الثاني، دار المدار الاسلامي، الطبعة الأولى 2004، ص 254.

<sup>4</sup> - أحمد حسن حامد، المرجع نفسه، ص 27-28.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

قد استعان في فن الرسائل بالاقْتباس ومن أمثلة ذلك ما ذكره في جواب سلطانه أبي الحجاج يوسف إلى أبي عنان المريني في إظهار انتصار المسلمين على الكافرين وخضوع أهل الصليب لأهل التوحيد بعد عناد، واستسلام الحصون بعد امتناع "فانتظمها سلك الأمر السعيد، واتصل القريب منها بالبعيب، واحتجت معتزلتها بإنجاز الوعد وإخلاف الوعيد، وكان لسابقتها حق المتكلم وللأحقها حق المعيد، فأقمنا فريضة الشكر والحمد لوقتها، وتلونا في سباط الاعتبار بالنعيم

﴿وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾<sup>1\*</sup>

ولقد تمثل الاقتباس في الآية من القرآن الكريم "وَمَا تُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا" وأما في التضمين فهناك من الكتاب من يضمن في رسالته من شعره في مثل رسالة أبا محمد بن عبد البر\* التي كتبها في وصف غزال أهدي إليه "تخاله سهماً إذا إنصاع، ومعشوقاً أشعرَ بريقِ فارتاع يزداد جماله إذا نُفِرَ، وتروق محاسنه إذا دُعِرَ:

رَقَّةٌ فِي الشَّوَى وَقَرْنٌ عَلاهُ

كاد يحكى غزاة الإنس لولا

كَلَّفَا بِالْفَتَى الَّذِي أَهْدَاهُ

أنا أهواه لا لشيء ولكن

وهناك من يضمن رسالته بشعر من غيره مثل قوله في رسالة كتبها على لسان أحد الأمراء، فقال "ووافاني كتابك العزيز، وأول ما صرّحت طرفي في مسطوره، وأعملت فكري في منتوره واستطار الرُكَّابُ فرحاً، وعادت غمرات مرحا ثم أنشدت ورددت:

تطاردي عن كونه وأطارد

أهم بشيء والليالي كأثها

مصائب قوم عند قوم فوائد

بذا قضت الأيام ما بين أهلها

\* حموي أديب ومؤلف ولد في 1179 وتوفي 1429 ؟؟؟؟

<sup>1</sup> - محمد مسعود جبران، نفس المرجع السابق، ص 254-255.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

---

وعسى الله أن يعيد عهداً تجري فيه السوانع<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> عبد النبي فلاح القيسي ، نفس المرجع السابق، ص 418.

\* - الآية 48 من سورة الزخرف.

\*\* ابن عبد البر إمام وفقه مالكي ومحدث ومؤرخ أندلسي ولد في اسبانيا 29 نوفمبر 978 توفي في اسبانيا 2 ديسمبر 1071م.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

### الإطناب والإيجاز:

قال أصحاب الإطناب: المنطق إنّما هو بيان والبيان لا يكون إلا بالإشباع والشفاء لا يقع إلا بالإقناع، أفضل الكلام أبينه وأبينه أشده إحاطة بالمعاني ولا يحاط بالمعاني إحاطة تامة إلا بالاستقصاء، والإيجاز للخواص والإطناب مشترك فيه الخاصة والعامة والغبي والفظن، والريّض والمرتاح والمغني ما أطيلت الكتب السلطانية في إفهام الرعايا<sup>1</sup>، وهو إمّا الإيضاح بعد الإبهام ليُرى المعنى في صورتين مختلفتين، وليتمكن في النفس فضل تمكّن، فإن المعنى إذا ألقى على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت نفس السامع إلى معرفته على سبيل التفصيل والإيضاح فتوجه إلى ما يرد بعد ذلك، فإذا ألقى كذلك تمكّن فيها فضل تمكّن وكان شعورها به أتم والإطناب أنواع عديدة وهي:

**1) التنبيه إلى الشيء:** وذلك بتقديم العام على الخاص لقوله تعالى ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوَسْطَى﴾\* فقد ذكر الصلوات على العموم وهي العام، ثم عاد فذكر منها الصلاة الوسطى لتنبه إليها بالشكل الخاص.

**2) الإيضاح والإبهام:** وذلك بهدف تمكين المعنى في النفس وترسيخه كقوله تعالى ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هُوْلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾\*\* وذلك من باب بأن التفسير لفظة الأمر وهو يريد تعظيم التهويل في نفوس السامعين.<sup>2</sup>

**3) التوسيع:** وهو أن تأتي في صدر الكلام بلفظ مثني، ثم في عجزه بلفظين يفسران اللفظ المثني أو يوضحانه ويكون أحدهما معطوفاً على الآخر.

**4) التكرار:** أي نذكر الشيء مرتين أو أكثر:

• إما لتأكيد: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (3) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (4)﴾\*<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - أي هلال عسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، نفس المرجع السابق، ص 196.

<sup>2</sup> - الخطيب القزويني "الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبدیع، دار العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1424 هـ، 2002 م، ص 151.

\* الآية 238 من سورة البقرة

\*\* الآية 66 سورة الحجر.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

- وأما لتحسر والتفجيع: كقول الشاعر:

فيا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتِ أَوَّلُ حُفْرَةٍ      من الأرض خَطَّتْ للسماحة مَضْجَعَا

ويا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَاوْرَيْتِ جُودَةَ      وقد كان مِنْهُ الْبَرُّ وَالْبَحْرُ مُتَمَرِّى

- إما لطول الكلام: كقوله تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا

وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ\*\*

- وأما لترغيب وزيادته قوله تعالى ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ

(38) يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ (39)\*\*\*

- أما لظاهر التلذذ من ذكر اللفظ: كقول الشاعر

سَقَى اللهُ نَجْدًا وَالسَّلَامَ عَلَى نَجْدٍ      ويا حَبْدًا نَجْدٌ عَلَى الْقُرْبِ وَالْبَعْدِ

- 5) **الإيغال**: وهو مبالغة في الوصف أو في تقرير ما نريد، فالإيغال زيادة في الكلام يمكن حذفها، ولكن في زيادتها فائدة بلاغية.

- 6) **الاعتراض**: هو أن يندرج في خلال الكلام جملة إعتراضية، أو أكثر، ليس لها من الإعراب محل كقول الشاعر:

أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللهُ بَاطِلٌ      وَكُلُّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ

- 7) **التدليل**: هو أن تأتي الجملة أخرى لها معنى السابق من أجل أن تؤكد عليه كقوله تعالى

﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا\*\*\*\*

- 8) **الاحتراس والتكميل**: وذلك إذا أتى المتكلم بمعنى، فحاف أن يفهم خلافا للمقصود، فأورد

في السياق ما يدفع ذلك للفهم: إحتراساً منه، وتكميلاً للمعنى، ولهذا سمي إحتراساً أو "تكميلاً"

<sup>1</sup> \* الآية 3-4 من سورة التكاثر.

\*\* الآية 110 من سورة النحل 88\*\*\* الآية 38-39 من سورة غافر

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

9) **التتيم:** وهو أن تزداد فَضْلَةٌ في الكلام تحسنه وتحسن معناه، وهو يؤدي حذفها إلى اختلال المعنى<sup>1</sup>

والإيجاز هو جمع كثير من المعنى في قليل من المنطق، ولذلك كان البيت الذي يحوي معنيين أفضل من هذا الذي يحوي معنى واحد وللإيجاز مواضعه والإطناب مواضعه ولقد كان بعض النقاد لا يهتمون بالإيجاز كقول ابن قتيبة "لو كان الإيجاز محموداً في كل الأحوال لجرده الله تعالى في القرآن، ولم يفعل الله ذلك، ولكن أطال تارة لتوكيد، وحذف تارة للإيجاز وكرر تارة للإفهام"<sup>2</sup>

ومن الذين كتبوا بإيجاز نجد ابن الزيات أغلب رسائله تميزت بالإيجاز فهو كان يعتمد إلى الجمل القصيرة فمثلاً رسالته أو العهد الذي كتبه بحضرة المعتزم يعهد فيه للوائح بولاية مكة جاء فيه: "أما بعد فإن أمير المؤمنين قد قلدك مكة وزمزم، وارات أبيك الأقدام وجدك الأكرم، وركضة جبريل، وسقيا إسماعيل، وحفر عبد المطلب وسقاية العباس، فعليك بتقوى الله والتوسعة على أهل بيته"<sup>3</sup>

### الطباق والمقابلة:

الطباق والمقابلة والتضاد والمتضاد ومجاورة الأضداد، والتطبيق: مصطلحات تتردد في كتب التراث البلاغي، لدلالة على هذا اللون الذي يجمع فيه بين الشيء وضده، والذي نعرفه الآن باسم الطباق. واختار له قدامة بن جعفر اسم "التكافؤ"، وجعل الطباق مصطلحاً لنوع آخر هو التجنيس، أو المستوفي منه خاصة قال: إما المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحد بعينها. وقال "ابن رشيق" في حديثه عن الطباق: "ولم يسمه التكافؤ أحد غيره.

<sup>1</sup> - ديزيره سقال "علم البيان بين النظريات والأصول"، دار الفكر العربي بيروت، الطبعة الأولى 1997، ص 129-130-131-132.

<sup>2</sup> - أحمد بدوي، "كتاب أسس النقد الأدبي عند العرب"، دار النهضة مصر الطبعة سبتمبر 1996، ص 494.

\* - الآية 81-82 من سورة الإسراء

<sup>3</sup> - فوزي سعد عيسى، نفس المرجع السابق، ص 108.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

فالطباق في اللغة هي الجمع بين الشيئين، يقال، طابق فلان بين ثوبين، ثم استعمل في غير ذلك، فقيل: طابق البعير في سيره، إذا وضع رجله موضع يده وهو راجع إلى الجمع بين الشيئين<sup>1</sup>، والطباق نوعان:

- **طباق الإيجاب:** وهو ما اتفق فيه الضدان إيجاباً وسلباً، كقوله تعالى: ﴿وَتَحْسِبُهُمْ أَيَقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾\* فالطباق في لفظي "أَيَقَاطًا وَهُمْ رُقُودٌ"، وكلاهما في المعنى ضد الآخر وقول أبي صخر الهذلي\*\*\*

أما والذي أبكى وأضحك  
وأما والذي أبكى وأضحك  
والذي

الطباق في صدر البيت بين لفظي "أبكى وأضحك"، وكلاهما معناه ضد الآخر، وفي عجز البيت بين لفظي "أما وأحيا"، وكلاهما معناه ضد الآخر.

- **طباق السلب:** وهو ما اختلف فيه الضدان إيجاباً وسلباً، كأن يؤتي بفعلين أحدهما مثبت والآخر منفي نحو قوله تعالى ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ﴾\*\*، حيث الطباق في اللفظين "تَعَلَّمْ وَلَا أَعْلَمْ"<sup>2</sup> ولقد كثر استخدام الطباق في الرسائل ولنأخذ مثال رسالة ابن الخطيب الذي جمع فيها بحكم المناسبة التاريخية بين تهنئة السلطان أبي عنان بتولي الحكم وتعزيزته في وفاة أبيه السلطان أبي الحسن "فإننا ورد علينا الخبر الذي قبض وبسط، وجرار وقسط، وبخس ووفى، وأمراض وشفاء، وأضحى وظلّل، وتحهم وتهلل، وأمرّ وأحلى، وأوحش واسلى وأساء ثم أحسن وبشّر بعد ما أحزن"<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - عبد المنعم سيد عبد السلام الأشقر "نظرات في علم البديع" مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى 1416هـ - 1995م، ص 7-9.

<sup>2</sup> - يوسف أبو العدوس، نفس المرجع السابق، ص 244.

<sup>3</sup> - محمد مسعود جبران، نفس المرجع السابق، ص 291.

\* الآية 18 من سورة الكهف.

\*\* الآية 116 من سورة المائدة

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

### المقابلة:

وهي أن تأتي في الكلام بجزأين فصاعدا ثم نعطف عليه متضمن أضدادها أو شبه أضدادها على الترتيب، فإن اختل كانت قابلة فاسدة وأقلها مقابلة اثنين كقوله تعالى ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾\* ومثل هن أما قاله جرير

وباسط خير فيكم يمينه وقابض شر عنكم بشماها

فالشاعر طابق بين "الباسط وقابض" و "خير وشر" "يمين وشمال"<sup>1</sup> وعلى نحو أيضا قوله تعالى ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى (5) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى (6) فَسَنِيَرُهُ لِلْيُسْرَى (7) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (8) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (9) فَسَنِيَرُهُ لِلْعُسْرَى﴾\*\*<sup>2</sup> ونأخذ مثال أيضا عن المقابلة في رسالة ابن العميد في التهديد واللوم يقول فيها

"كتابي وأنا مترجح بين طمع فيك ويأس منك وإقبال عليك، واعراض عنك فإنك تدل بسابق حرمة، وتمت بسالف خدمة، ايسرهما يوجب رعاية ويقتضي محافظة وعناية، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة، وتتبعهما بآنف خلاف ومعصية، وأدنى ذلك يحبط أعمالك، ويمحق كل ما يرمى لك، لا جرم أبي وقفت بين ميلك وميل عليك، أقدم رجلا لصدملك وأؤخر أخرى عن قصدك، وأبسط يدا لاصطلامك واحتياجك، وأثني ثانية لا ستبقائك واستصلاحك..."<sup>3</sup> وتمثلت مقابلة في قوله "و أنا مترجح بين طمع فيك، ويأس منك" "إقبال عليك، إعراض عنك"، أقدم رجلا في صدملك، وأؤخر أخرى عند فصدك"

1 - عبد الرحمن خربوش "علم البديع دراسة تحليلية لأهم أنواع البديع"، دار الغرب للنشر والتوزيع، ص 89، 88.

2 - القزويني الخطيب "التلخيص في علوم البلاغة" دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 1904، ص 353.

3 - هاشم صالح مناع، مأمون محمود ياسين، نفس المرجع السابق، ص 129.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

### السجع:

هو توافق الفاصلتين من الحرف الأخير دون التقييد بالوزن، وأفضله ما تستوى فقرة، والسجع في النثر أربعة أقسام وهي:

**1) المطرف:** وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن واتفقتا في الحرف الأخير نحو قوله تعالى ﴿ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴾ \* وقوله تعالى ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴾ \*\*

**2) المرصع:** وهو ما كان فيه ألفاظ إحدى الفقرتين كلها أو أكثرها مثل ما يقابلها من الفقرة الأخرى وزناً وتقنية كقول الحريري هو يطبع الأسجاع بجواهر لفظه، ويقرع الأسماع بزواجر وعظيه.<sup>1</sup>

**3) المتوازي:** وهو أن تتفق اللفظة الأخيرة من المقطع الأول، مع نظيرتها في المقطع الثاني، في اللفظ والحرف الأخير كقوله تعالى ﴿ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴾ \*\*\* فالسجع واقع بين اللفظتين مرفوعة وموضوعة وهما متفقتان في الوزن والحرف الأخير.

ولا يحسن السجع إلا إذا كانت مفرداته رشيقة خفيفة على السمع، يخلو من التكلف، بحث لا يأتي الألفاظ علم حساب المعاني، وإن تكون المعاني الحاصلة عند التركيب مألوفة، وإن تدل كل واحدة من السجعتين على معنى جديد، حتى لا يحدث تكرار وينقسم السجع من حيث الطول والقصر على قسمين:

**1) السجع القصير:** هو ما تكون فيه كل واحدة من السجعتين من ألفاظ قليلة من لفظتين

مثلاً أو ثلاثة إلى عشرة نحو قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (1) قُمْ فَأَنْذِرْ (2) وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ (3) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (4) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴾ \*\*\*\*

<sup>1</sup> - السيد أحمد الهاشمي، نفس المرجع السابق، ص 330.

\* الآية 13 من سورة الأحقاف.

\*\* الآية 6 و7 من سورة النبأ.

\*\*\* الآية 13 من سورة الغاشية

\*\*\*\* الآيات 01 إلى 05 من سورة المدثر.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

2) **السجع الطويل:** هو ما تكون فيه كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ كثيرة قد تصل إلى عشرين<sup>1</sup>

ولقد أدرك أئمة البلاغة منذ القديم إن السجع فن رفيع وأثر جميل في الأساليب ورفيع منزلة في النفوس وابن الأثير من الأدباء الذين دافعوا عن السجع بجرارة وعقيدة وقوة إيمان حيث قال: اعلم أن الأصل في السجع إنما هو اعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء، والنفوس تميل إليه بالطبع فليس الوقوف في السجع عند الاعتدال فقط، ولا عند تواطؤ الفواصل على حرف واحد، إذا لو كان ذلك هو مراد من السجع لكان كل أديب من الأدباء سجاعاً<sup>2</sup> ومن أمثلة السجع في الرسائل رسالة ابن أبي الخصال التي أرسلها لأحد الأمراء يعزيه فيها دون أن يحدد شخصية الفقيه وجاء فيها:

أطال الله بقاء الأمير مؤيداً إعتزاه، مسددة إلى أغراضه سهامه نائبة عن التوب، سامية به الرتب، ولازالت الرزايا تتخطاه، والحوادث تمابه وتتحاماه.<sup>3</sup>

وتمثل السجع اعتزاه ← سهامه، التوب ← الرتب، تتخطاه ← تتحاماه

**الجناس:** سمي هذا النوع من الكلام مجانسا لان حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد وحقيقته أن يكون اللفظ واحد والمعنى مختلفاً<sup>4</sup> والجناس في الكلام يتنوع أنواعاً كثيرة وينقسم أقساماً عديدة كان مقولاً على حقائق مختلفة في تقسيمها وكل قسم منها شعباً كثيراً وهن الشأن الجنس المتوسط عند أرباب المعقول فالجناس حينئذ جنس وتحت أنواع وهي تام والمغاير والمركب والمزدوج والمضمع والخطى والمخالف والمقارن والمعنوي.<sup>5</sup>

<sup>1</sup> - نفس المرجع السابق ص 290.

<sup>2</sup> - محمد نبيه حجاب، بلاغة الكتاب في العصر العباسي دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب، مكتبة الطالب الجامعي، طبعة الثانية 1406هـ - 1986 م، ص 162.

<sup>3</sup> - فوزي عيسى، الرسالة الأدبية في النثر الأندلس، دار المعرفة الجامعية كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ص 188.

<sup>4</sup> - ضياء الدين بن الأثير، "المثل السائر في آداب الكاتب والشاعر" القسم الأول دار النهضة مصر للطبع والنشر الفجالة، القاهرة ص 262.

<sup>5</sup> - صلاح الدين السفداي، "كتاب جنان الجناس في علم البديع" مطبعة الجوانب القسطنطينية سنة 1299 ص 13.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

**الجناس التام:** وهو اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور وهي: نوع الحروف عدد الحروف ترتيب الحروف، هيئة الحروف من حيث الحركات والسكنات مثل قول أبي العلاء المعري

لوزارنا طيف ذات الخال أحيانا      ونحن في حفر الأجداث أحيانا

"أحيانا الأولى بمعنى في بعض الأوقات "وأحيانا" الثانية معناه ردنا إلى الحياة.

الجناس غير تام: وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور المتقدمة

أ. **اختلاف اللفظين في أنواع الحروف** مثل قوله تعالى ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْتَوْنَ عَنْهُ﴾\*

ب. **اختلاف اللفظين في عدد الحروف** مثل ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾\*\*

ج. **اختلاف اللفظين في هيئة الحروف** وينقسم قسمين

● **الجناس المحرف:** وهو ما تفق فيه اللفظان في عدد الحروف وترتيبها، واختلفا في

الحركات فقط.

● **الجناس المصحف:** هو ما اختلف فيه اللفظان في النقط فقط

د. **اختلاف اللفظين في ترتيب الحروف:** ويسمى هذا الجناس جناس القلب<sup>1</sup> ولقد كان الجناس

من أبرز ألوان المحسنات اللفظية التي إعتنى بها الأدباء ووظفوها في رسائلهم فمن أمثلة ماجاء من

الجناس عند ابن الخطيب في قوله "لكن أجار الكفر من الليل كافر، وقد هلك منهم عدد وافر،

ورجع المسلمون إلى محلاتهم، ونصر الله سافر والعزم ظافر" كافر= الوافر جناس غير تام

وسافر= طافر جناس غير تام<sup>2</sup>

**التشبيه:** هو الدلالة على شيئا أو أشياء شاركت في معنى أو أكثر بأداة ملفوظة أو ملحوظة وبتعبير

آخر هو تمثيل شيء بشيء لصفة متشاركة بينهما أو أكثر وتدرك من هذه التعريفات أن هناك

<sup>1</sup> - يوسف أبو عدوس، نفس المرجع السابق، ص 278.

\* الآية 26 من سورة الأنعام

\*\* الآية 1 من سورة الحمزة

<sup>2</sup> محمد مسعود حيران، نفس المرجع السابق، ص 274

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

أمرين ألحقنا أحدهما بالآخر وأن هناك معنى جمع بين هذين الأمرين وأداة ربطت أحدهما بالآخر ومن هذا التعريف نستخلص أركان التشبيه<sup>1</sup> المشبه والمشبه به وجه التشبه والأداة بين الظاهرة مصرحاً بها أو ببعضها كقوله على في الكرم وليلي كالبدر ضياء وشعرها كالليل لسوادها وكما في قول الحق جلّ وعلا ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾\* وكقول الشاعر:

كأن مثار النقع فوق رؤسنا      وأسيفنا ليل قهاوى كوكبه

وقد تكون تلك الأمور خفية مستترة ينبئ بها الأسلوب وتفهم من سياق الكلام كما في بعض الصور التجريد التي مرت بنا نحو: لعن لقت فلان فالتلقين به الأسد، كما في التشبيهات الضمنية نحو قولنا: نور الصباح يخفي في ضوء جبينه، ونور الشمس مسروق من نور وجهه كقول البحري\*\*\*

في طلعة البدر شيء من محاسنها      وللقضيب نصيباً من تشيها

إلى غير ذلك من التشبيهات التي تفهم من مضمونها من خلال سياق الكلام ولا تقوم بتصريح أركان التشبيه.

**أغراض التشبيه:** وقد يلجأ الكاتب أو الشاعر في التعبير إلى أسلوب التشبيه لشعوره بأنه أكثر من غيره في إصابة غرض وضوح الدلالة على المعنى وأغراض التشبيه متنوعة وهي تعود الغالب إلى المشبه وقد تعود المشبه به وهذه الأغراض هي:

1- **بيان إمكان وجود المشبه:** وذلك حين يسند إلى المشبه أمر مستغرب لا تزول غرابته إلاّ

بذكر المشبه له مثال ذلك قول المتنبي

فإن تفق الأنام وأنت منهم      فإن المسك بعض دم الغزال

<sup>1</sup> - بسون عبد الفتاح فيود، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الثانية، 1425 هـ - 2004 م، ص 18-19.

\* الآية 24 من سورة الرحمن.

\*\* بشار بن برد شاعر مطبوع ولد في العراق 714م توفي 784م

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

فالتشبيه هنا ضمني ، وفيه أدعى الشاعر أن المشبه وهو الممدوح مباين الأصلة بصفات وخصائص جعلته وحقيقة منفردة، ولما رأى غرابة دعواه وإنّ هناك من قد ينكر وجودها احتج على صحتها بنشبيه الممدوح بالمسك الذي أصله دم الغزال

2- **بيان حال المشبه:** وذلك حينما يكون المشبه مجهول الصفة غير معروفها قبل التشبيه الوصف.

3- **بيان المشبه:** أي مقدرًا حاله في القوة والضعف، والزيادة والنقصان وذلك إذا كان المشبه معروف الصفة قبل التشبيه معرفة إجمالية، ثم يأتي التشبيه لبيان مقدار هذه الصفة.

4- **تقدير حال المشبه:** أي تثبيت حاله في نفس السامع وتقوية شأنه لديه، كما إذا كان ما أسند إلى المشبه يحتاج إلى التأكيد والإيضاح بالمثل.

5- **تزين المشبه:** ويقصد به تحسين المشبه والترغيب فيه عن طريق تشبيهه بشيء حسن الصورة أو المعنى .

6- **تقييح المشبه:** وذلك إذا كان المشبه قبيحاً حقيقياً أو اعتبارياً فيؤتي له بمشبه به له أقرب منه يولد في النفس صورة قبيحة عن المشبه تدعو إلى التنفير عنه<sup>1</sup>، والتصوير بالتشبيه مما استعان به الأدباء في تشكيل الصورة الفنية في إنتاج الأدي للإفادة من بلاغته وإيضاح معانيه ونأخذ مثال: تشبه أدب أبي إسحاق الطراز\* بقوله : له أدب كالروض باكرته اسحاب وحملت أرجع الصبا والحجاب.<sup>2</sup>

### الخيال والتصوير:

الخيال هو القدرة التي يستطيع العقل بها أن يشكل صوراً للأشياء أو الأشخاص أو الوجود وهو انواع:

1 - عبد العزيز عتيق، علم البيان، دار الأفاق العربية، الطبعة 1424 هـ - 2004 م، ص 80-81-82-84.

2 - محمد مسعود جبران ، نفس المرجع السابق، ص 242.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

**الخيال الابتكاري:** وهو الخيال الذي يؤلف بين العناصر المعروفة من قبل ليحدث صوراً جديدة بديعية.

**الخيال التأليفي أو التوفيق:** وهو الخيال الذي ليستفيد من الصورة الماضية ليربطها بحالة الأديب النفسية.

**الخيال البياني أو التفسيري:** هو الخيال البسيط المعتمد على البيان وهو قريب سهل الفهم والإنسان قوي الخيال هو الذي ينظم هذه الصور في وحدة متكاملة تفوق ما في الطبيعة والتصوير نتاج الخيال لأنه يحتوي على عناصر التصوير مثل: عامل التشابه وهو يذكر الشيء بالشيء والمشابه له، عامل التضاد أو التباين عامل الاقتران الزماني والمكاني<sup>1</sup>. فالتصوير الاستعاري ضرب من التصوير التشبيهي الذي سبق الحديث عنه، إلا أنه يفضل به بعمق الوصف وشدة الاختصار لقيامه على تناسي التشبيه وحذف أحد طرفيه مما يفسح لظهور الخيال<sup>2</sup> والاستعارة باعتبار ما يذكر من طرفيها، تنقسم الاستعارة إلى قسمين.

1- **الاستعارة التصريحية:** وهي ما حذف منها المستعار له وذكر المستعار منه كقوله تعالى ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾\* فقد استعار هنا لفظة الظلمات "المستعار منه" للظلاله" المستعار له "فصرح بالمستعار منه وحذف المستعار له، واستعار النور "المستعار منه" للهداية "المستعار له" فذكر الأول وحذف الثاني.

2- **الاستعارة المكنية:** وهي ما حذف منها المستعار منه، وظلت في الكلام قرينة تدل عليه، وذكر المستعار له كقول الشاعر:

<sup>1</sup> - محمد عبد الغني المصري، مجد محمد الباكر البرازي، تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، دار الوراق، الطبعة الأولى 2005، ص 28-29.

<sup>2</sup> - محمد مسعود جبران، مجلد ثاني نفس المرجع السابق، ص 244.

\* الآية 01 سورة ابراهيم

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

ليت ماحلّ بنابه

عضنا الدهر بنابه

فقد استعار الشاعر هنا العض للدهر من خلال فعل عضّ، ليشبّهه بالوحش فالدهر هو مستعار له، والوحوش مستعار منه ثم ذكر الشاعر قرينة ثانية دل بها على مستعار منه وهي لفظة الناب التي بها كنى عن الوحش وجلعنا نتخيل الدهر مثله.<sup>1</sup>

والتصور الكنائي وهو جملة التصوير البياني في وله بلاغته المؤثرة في بناء النصوص الأدبية وقد عرفه عبد القاهر الجرجاني بقوله "إن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه ويجعله دليلاً وللكناية كما ذكر في كتب البلاغة صورة متعددة وأشكال مختلفة وهي في شتى صورها ترمي إلى التعبير الفني الأنيق غير المباشر الذي يخفي في ألفاظه المعنى الصريح الذي لا يريد الأديب البوح به<sup>2</sup>

وتنقسم الكناية إلى ثلاث أقسام:

1- **كناية عن صفة:** وهي في العادة تنقل المعنى العقلي المجرد الصفة إلى شكل مادي ملموس أو محسوس مثل: نؤوم الضحى كبير الرماد" كناية عن الرفاهية والكرم.

2- **كناية عن موصوف:** وهي تأتي في اسم الذات لتحديد مكان وجود المعنى العقلي المجرد أو الصفة المراد التعبير عنها مثل قوله تعالى ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾ \* لأن القلب مكان الاعتقاد.

3- **كناية عن نسبة:** وهي تجسيد المعاني العقلية المجردة، لتصبح وكأنها مخلوقات حية تتحرك وتشعر وتحس بها<sup>3</sup> مثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم " حَيْلٌ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" فقد ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم موصوفاً وهو الخيل وذكر صفة الخيل

<sup>1</sup> - ديزيره سقال، نفس المرجع السابق، ص 162.

<sup>2</sup> - محمد مسعود جبران، المجلد الثاني في نفس المرجع السابق، ص 248-249.

<sup>3</sup> - محمد عبد الغني المصري، محمد محمد الباكير البرازي، نفس المرجع السابق، ص 40-41.

## الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة

وهو الخير ولكن لم تنسب هذه صفة إلى الخيل مباشرة إنما نسب الخير إلى ماله علاقة بالخيل وهي نواصيها فهي عن نسبة<sup>1</sup>

ونمثل الاستعارة والكناية من خلال رسالة للقاضي الفاضل كتبها عن صلاح الدين الأيوبي إلى الناصر لدين الله الخليفة ببغداد.

"كتاب الخادم هذا واصل إليكم وقد أظفر الله بالعدو الذي تشظت قناته شققا وطارت فرقه فرقا، فل سيفه فصار عصا، وصد عن حصانه وكان الأكثر عددا وحصا، فكّلت حملاته وكانت قدرة الله تصرف فيه العنان بالعتاب، عقوبة من الله ليس لصاحب يد بها يدان، وعثرت قدمه وكانت الأرض لها حليفة وغضت عينه وكانت عيون السيوف دورها كسيفة ونام جفن سيفه وكانت يقظته تريق نطف الكوى من الجفون وجدعت أنوف رماحه وطالما كانت شامخة بالمنى أو راعفة بالمنون، وأضحت الأرض المقدسة الطاهرة وكانت الطامث والرب المعبود الواحد وكان عندهم الثالث، فبيوت الشرك مهمومة، ونيوب الكفر مهتومة، وطوائفه الحامية، مجتمعه على تسليم البلاد الحامية، وشجعانه المتوافية مدعنة ببذل المطامع الوافية لا يرون في ماء الحديد لهم عصرة، ولا في فناء الافنية لهم نصرة، وقد ضربت عليهم الذلة والمسكنة، بدل الله مكان السيئة الحسنة، ونقل بيت عبادته من أيدي أصحاب المشأمة إلى أيدي أصحاب الميمنة<sup>2</sup>

وتمثلت الكناية في "تشظت قناته شققا" كناية عن الهزيمة "صدعت حصائه" كناية النفوق وقلة العدد "غضت عينه" كناية عن الانكسار "ماء الحديد" كناية عن الدماء "عثرت قدمه" كناية عن السقوط والزلل، أما الاستعارات فتمثلت في استعارة مكنية "كلت حملاته" عيون السيوف كسيفه جدعت أنوف رماحه "وكانت شامخة وكانت الطامث فبيوت الشرك مهتومة" ونيوب الكفر مهتومة" ضربت عليهم الذلة"

<sup>1</sup> - محمد محمود كالمو، عالم البيان، جامعة أديامان كلية العلوم الاسلامية، الكعبة 1442-2020، ص 29.

\* الاية 10 سورة البقرة

<sup>2</sup> - هاشم صالح مناع، مأموم محمود ياسين، النثر العربي في العصر العباسي، دار يافا للنشر والتوزيع الأردن عمان، ص 197.

# الفصل الثالث: رسالة العذراء

لابن المدبّر

## الفصل الثالث: رسالة العذراء لابن المدبر

الفصل الثالث : رسالة العذراء لابن المدبر

المبحث الأول: ابن المدبر "حياته الثقافية"

ابن المدبر هو أبو سحاق إبراهيم بن محمد بن عبيدة الله بن المدبر الكاتب ولد في بغداد سنة 195هـ - 711م في الأغلب<sup>1</sup>، وهو الأديب الفاضل الشاعر الجواد المترسل صاحب النظم الرائع ، والنثر الفائق تولى الولايات الجليلة ، ثم وزر للمعتمد على الله لأن المعتمد وهو الخليفة 10 من خلفاء الدولة العباسية كان كثير الانغماس في الملاذ الدنيوية وكان لهذا يد في ضعف خلافة ومات في سنة تسع وسبعين ومائتين<sup>2</sup> . ثم خرج ابن المدبر في جيش المأمون إلى بلاد الروم يطلب الرزق، ثم علا نجمه في أيام المتوكل فأصبح من وجوه كتاب الدواوين في العراق ومن ذوي الجاه المتصرفين في كبار الأعمال مذكور الولايات ، وكان المتوكل يقدمه ويؤثره ويفضله. ونشأ بين ابن المدبر وابن عبد الله بن يحيى بن خاقان الذي وزر للمتوكل ثم للمعتمد عداوة، وكان إبراهيم يلي عملاً في البصرة فصرفه ابن خاقان وحبسه مدة ، ثم خرج إبراهيم من السجن على يد محمد بن عبد الله بن طاهر وشفاعه الجارية عريب إلى المتوكل، بعد هذه النكبة تولى إبراهيم الثغور الجزرية " شمالي الشام والعراق " فكان أكثر مقامه في أثناء ذلك في منبج، ويبدو أنه عاد على بغداد وشيكا إذ كانت صلته بإسماعيل بن بلبل وزير المعتمد وثيقة جداً، قد نشأ بين إبراهيم وعريب حب بلغ ذروته سنة 267 هـ " 880م " وكانت عريب أسن منه ولهما في ذلك أخبار كثيرة ، وتوفي إبراهيم بن المدبر سنة 279 هـ "892" وهو يتولى للمعتمد ديوان الضياع ببغداد ويعتبر ابن المدبر أديبا مترسلا وشاعرا كان له مُقدِّعٌ، ولكنه ليس من فحول الشعراء، أما قيمته فهي نثره الذي يشبه

<sup>1</sup> - عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، دار العلم للملايين بيروت - لبنان الطبعة الرابعة 1401هـ - 1981م ، ص 334.

<sup>2</sup> - شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي "معجم الأديباء محلب الأول مؤسسة المعارف بيروت- لبنان ص 213-214

حققه دكتور عمر فتوق الطباع

## الفصل الثالث: رسالة العذراء لإبن المدبر

نثر الجاحظ في التأليف في المقدمات وذلك من خلال "رسالة العذراء" مقدمة أسلوبها يشبه بأسلوب الجاحظ<sup>1</sup> وجاء أيضا من شعره

يَا كَشِفَ الكون بعد شدته      ومُنزَلَ الغيث بعد قنطوا

ولا تبل قلبي بشحط بينهم      فالموت دان إذا هم شحطوا

وإبراهيم بن المدبر هو القائل في إبراهيم بن العباس الصولي يهجوّه.

عز الطويل عن الأزمة      لا ردّه ربي بدمّه

إن كان طال فإنه      من أقمر الثقلين همّه

وقوله أيضا لما تشفى المتوكل مرض خيف عليه منه فقال:

يوم أتانا بالسرور      فالحمد لله الكبير

أخلصت فيه شكره      ووفيت فيه بالندور

لما اعتللت تصدعت      شعب القلوب من الصدور

من بين ملتهب فؤا      د وبين المكتلب الضمير

يا عدتي للدين والد      نيا و للخطب الخطير

كانت جفوتي ترة الـ      آماق بالدمع الغزير

<sup>1</sup> - عمر فروخ، مرجع نفسه، ص 334.

لؤلؤ أملت جزءاً لعمـ رك إبنى عىن الصبور<sup>1</sup>

وشد عن هذه الآراء من نسب رسالة العذراء لابن المدبر وهناك من نسبها إلى غير ونرى أن أول من نسب رسالة العذراء لابن المدبر هو أحمد علي الكرد<sup>2</sup> في كتابه رسائل البلغاء ، وأخذها عنه "عمر الفروخ" وهو أيضا نسبها لابن المدبر في كتابه تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسي ويقول عمر فروخ في كتابه أن رسالة العذراء في رسائل البلغاء لمحمد كرد علي، الطبعة الثانية مصر، دار الكتب العربية الكبرى، 1331هـ، 1913م، ص 187، 193، نشر زكي مبارك مع مقدمة بالفرنسية القاهرة "دار الكتب المصرية" 1350هـ، 1931م.<sup>2</sup>

وهناك من يرى أن محمد علي الكرد نسبها بالخطأ إلى ابن المدبر وأعاد نشرها في كتابه "رسائل البلغاء منسوبة إلى ابن المدبر والحق أن هذه الرسالة لأبي اليسر إبراهيم بن محمد الشيباني.

ونرجح دراسة رسالة العذراء لابن المدبر تحقيق زكي مبارك وذلك لسبق الزماني لها.

أسلوب ابن المدبر كان قويا يشد القارئ إليه من غير تكلف في اتباعه، واهتم ابن المدبر بالعناية بالألفاظ وانتقاء الكلمات بحيث أن جملة جاءت مترابطة ومتسلسلة وتوافق فيها اللفظ والمعنى وابتعاده عن الغموض واهتمامه بالتفصيل والإيضاح من بداية الرسالة إلى نهايتها، ولقد اعتمد ابن المدبر الكثير من الخصائص الفنية في رسالته وتمثل أولا في الإطناب وهو زيادة اللفظ للمعنى وجاءت رسالة العذراء طويلة<sup>3</sup> يتخللها الإطناب وذلك لأن ابن المدبر في هذه الرسالة عرض أو وضع كل الأدوات والوسائل التي تكن الكاتب أو الكتابة الجيدة فابن المدبر لم ييخل على الكاتب في تقديم نصائح إليه بل أعطى له من خبرته العلمية الواسعة في الكتابة وهذا الأشياء ربما لم يلتفت إليها أحد قبله وتمثل الإطناب في الرسالة في جمل طويله مسجوعه "سألتنى أن أقف بك على وزن

<sup>1</sup> - شهاب الدين ابن بن ألب عبد الله ياقوت الرومي الحموي، نفس المصدر السابق، ص 213-215.

<sup>2</sup> - عمر الفروخ ، تاريخ الأدب العربي العصر العباسي، نفس المرجع السابق، ص 336.

## الفصل الثالث: رسالة العذراء لابن المدبر

---

عذوبة اللفظ وحلاوته، وحدود فخامة المعنى وجزالته ورشاقة نظم الكتاب ومشاكلته سرده ، وحسن افتتاحه وختمه وانتهاء فصوله . " وأيضاً نلاحظ أن ابن المدبر يستعمل الإيجاز كثيراً في رسالته وتتمثل للإيجاز في ذكره لصفات الحسنة التي يجب أن تتوفر في الكاتب الجيد وهي أن يكون "صحيح القريحة ، حلو الشمائل ، عن الألفاظ ، دقيق الفهم ، حسن القامة ، حفيف الروح حادث الحس ، محنكا بالتجربة..." ومن ذلك فأن ابن المدبر اعتمد على الإطناب في موضعه والإيجاز في موضعه.

### المبحث الثاني: تحليل الرسالة "العذراء" لابن المدبر

رسالة العذراء هي رسالة أدبية كتبها ابن المدبر استجابة لرغبة بعض إخوانه الذين أرادوا أن يوضح لهم الوسائل والأدوات التي تمكن الكاتب والبلغ من الإجادة والتفوق في الكتابة.<sup>1</sup>

بدأ ابن المدبر رسالته بالدعاء في قوله "فتق الله بالحكمة ذهنك، وشرح بها صدرك وانطق بالحق لسانك، وشرف به بيانك" ثم أشار إلى الباعث في بداية الرسالة الذي حاول معرفة أدوات والرسائل للكتابة "وصل إلي كتابك العجيب الذي استفهمي فيه بجوامع كلمك جوامع أسباب البلاغة، واستكشفي عن غوامض آداب أدوات الكتابة، سألتني أن أقف بك على وزن عذوبة اللفظ وحلاوته، وحدود فخامة المعنى وجزالته، ورشاقة نظم الكتاب ومشاكلته سرده، وحسن افتتاحه وختمه، وانتهاء فصوله، واعتدال وصوله وبسلامتها من الزلل، وبعدهما من الخطل ومتى يكون الكاتب مستحقاً اسم الكتابة والبلغ مسلماً له معاني البلاغة في اشارته واستعارته، وإلى أي أدواته هو أحوج وبأي آدته هو أعمل" فابن المدبر حاول في هذه الرسالة الإجابة عن كل هذه التساؤلات من البداية إلى النهاية وهذه التساؤلات التي طرحها صاحبه يرى أنها تتصل بثقافة الكاتب وأدواته وسلوكه واستهل ابن المدبر كلامه بتأكيد حقيقة التعلم ويرى أن العلم شيء مكتسب "اعلم أن الاكتساب بالتعلم والتكلف، وطول الاختلاف إلى العلماء ومدارسة وكتب الحكماء"، واكتساب البلاغة والفصاحة تكون بتصفح رسائل المتقدمين والمتأخرين وكتب المقامات والخطب ومحاورات العرب وعهودهم وتوقيعاتهم ويقول: إن الثقافة العربية لا تكفي وحدها لاكتساب البلاغة وإنما لابد من الاطلاع على ثقافات أخرى وتحصيل العلم لا يكفي لصنع الكاتب جيد بل يجب أن تكون له القدرة على توظيف عمله واستثمار ثقافته في مكانها

<sup>1</sup> - فوزي سعد عيسى، نفس المرجع السابق، ص

## الفصل الثالث: رسالة العذراء لابن المدبر

الصحيح، واجتلاب الأمثال في أماكنها، واختراع الألفاظ الجزلة وقرض الشعر الجيد وعلم العروض حيث يقول "فإن تضمين المثل السائر، والبيت الغابر مما يزين كتابك، ما لم تخاطب خليفة أو ملكا جليل القدر، فإن اجتلاب الشعر في كتب الخلفاء والجملة الرؤساء عيب واستهجان للكتب إلا أن يكون الكاتب هو القارض للشعر والصانع له، فإن ذلك مما يزين في أمته ويدل على راعته وإن شددت من هذه العلوم ما لا يشغلك محله، وتقلب من هذه الفنون ما تسعين به إطالة قلمك، وتقويم أود بيانك" وبذلك يحدد ابن المدبر الصفات التي يجب أن تتوفر في كل كاتب جيد فيقول "بعد أن يكون الكاتب صحيح القريحة حلوة الشمائل، عذب الألفاظ، دقيق الفهم حسن القامة، بعيداً من الخدامة، خفيف الروح، حاذق الحس، محنكا بالتجربة، عالماً بجلال الكتاب والسنة وحرامهما، وبالملوك وسيرها وأيامها بالدهور في قلبها وتداولها مع براعة الأداب، وتأليف الأوصاف، ومشاكلة الاستعارة، وحسن الإشارة، وشرح المعنى بمثله من القول" وجعل الكلام ومخاطبة الناس كلاً على قدر أمته وجلالته وعلوه وارتفاعه فجعل للكلام ثمانية أقسام: أربعة منها للطبقة العلوية فجعل الطبقة الأولى وهي الطبقة العليا الخلافة التي أعلى الله شأنها عن مساواتها بأحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير والمخاطبة والترسل والطبقة الثانية الوزراء والكتاب والكتاب الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألسنتهم والطبقة الثالثة للأمرء وقواد جيوشهم، الطبقة الرابعة القضاة، وأما الطبقات الأربعة الأخرى فالطبقة الأولى للملوك والثانية الوزراء والثالثة للعلماء والرابعة تشمل على أهل القدر والظرب والأدب وأخرج ابن المدبر من هذه الطبقات التجار والسوقة وذلك لاستغنائهم بتجارهم وعن الآلات وانشغالهم بمهماتهم عن هذه الأوان ويؤكد ابن المدبر على الكاتب أن يرعى من يرأسه لكي يحدد معانيه وألفاظه في كتبه وقال إن لم يرعى الكاتب هذه الطبقات يضيع عدل طريقهم ويسلك بهم غير مسلكهم. ويمضي ابن المدبر في بسط المحاذير التي تعترض طريق الكاتب ويبيصره بالأخطاء كي لا

## الفصل الثالث: رسالة العذراء لابن المدبر

يقع فيها، لا يجوز في الرسائل الايصال والحذف ولا تجعل أول ما ينبغي أن يكتب في آخر كتابه ولا آخره في أوله ولا مخاطبة الخاص بالعام والعام بالخاص مثل ما في القرآن الكريم لأن الرسائل قد تخاطب فيها قوم دخلاء على اللغة لا علم لهم بلسان العرب لذلك يجب تجنب اللفظ المشترك والمعنى المتلبس وإن الكلمة يجب أن تكتسب قيمتها من خلال مجاورتها لآخواتها ، ويذكر أيضا أنه لا يجوز التقديم والتأخير والاضمار موضع الاظهار، وتصغير الإسم موضع التعظيم وإساءة النظم فالكلمة إذا كانت بسعة ووضعت في موضعها وقرنت مع اخواتها حسن حالها وراقت وإما إذا كانت اللفظة عذبة ولم توضع في موضعها نفرت لذلك يجب تخير من الألفاظ أرجحها وزنا، وأجزؤها معنى، وأليقها في مكانها وأشكلها في موضعها.

ولم تقتصر نصائح ابن المدبر على الكاتب وعلى المسائل المعنوية والفكرية والشخصية بل تتعداها إلى مسائل أخرى تمثلت في خبرته العلمية الواسعة في الكتابة فنصح الكتاب بإصلاح الآلات الكتابة في قوله "وأعلم أن أول ما ينبغي لك أن تصلح آلتك التي لا بد لك منها. وأدواتك التي لا تتم صناعتك إلا بها: وهي ادواتك، فبدأ بعمارتها وإصلاحها، وتخير لها ليقة نقيه من الشعر والفصح لئلا يخرج على حرف قلمك ما يفسد كتابك، ويشغلك بتنقيته، وخذ من المداد الفارسي خمسة دراهم، ومن الصمغ العربي درهما وعفصا مسحوقا نصف درهم، ورماد القرطاس المحرق درهمين، ثم تسحقها وتغربلها وتجمعها ببياض البيض، ثم بندقها واجعلها في الظل، فإذا احتجت إليها اخذت منها مقدار حاجتك فكسرتة وحشوت به دواتك، وإذا نفعته في ماء السلق حتى ينحل ويذوب ويتخمر ثم أمددت من مائه دواتك كان أجود وأنقى " وأكد ابن المدبر على الكاتب أن يختار والقلم الذي يصلح لكي لا يفسد كتابه وأعطى الكثير من المعلومات عن القلم الذي يراه مناسباً للكتابة وذكر أنواعاً للأقلام مثل القلم الكوفي وهو قلم كتب الملوك والسجلات، وقلم اللا زورد وهو معتمد عليه في النوائب والمهمات وأيضا قلم النرجس

## الفصل الثالث: رسالة العذراء لابن المدبر

وذكر أنواع الخطوط التي كانت مستعملة في زمانه كالموشع والمولع والمديح والمنمنم والمسهم وذكر الكثير من المعلومات عن القلم لأنه يمثل الأداة الأساسية للكاتب فهو يعتبر كالرمح للفارس ويجذرا ابن المدبر من النقط والتشكيل في كتابة الرسائل فهو يعتبرها من عيوب الكتابة في زمانه ويرى أن القارئ هو الذي يشكل الحرف في قوله " و اياك والنقط والشكل في كتابك، إلا أن تمر بالحرف المعضل الذي تعلم أن المكتوب إليه يعجز استخراجيه، فلان يشكل على الحرف أحب إلى من أن يعاب بالنقط والاعجام". وأيضا من وصاياه للكاتب أوصاه بالصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم في كتابته "لا تغفل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم" وأخذ قوله الرسول صلى الله عليه وسلم "لا تجعلوني كقدح الراكب، واجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره" وأن يحدد التاريخ في كتابه "لأنه يدل على تحقيق الأخبار وقرئها وبعدها" يزن اللفظة قبل أن يخرجها بميزان التصريف ويتجنب الألفاظ الوحشية ويرفع عن الألفاظ السخيفة، وكذلك يوصي الكاتب بأن يختار الأوقات المناسبة للكتابة فيقول "وارتصد لكتابك فراغ قلبك، وسماعة نشاطك، فتجد ما يمتنع عليك بالكد والتكلف لأن سماحة النفس بمكنونها، وجود الأذهان بمخزونها، إنما هو مع الشهوة المفرطة في الشيء والمحبة الغالبة فيه". وانتقل ابن المدبر في الأخير الى الحديث عن البلاغة ومفهومها وينقل اقوال كثيرة تدور حول تعريف البلاغة ومنها تعريف اريسطاطليس بان البلاغة حسن الاستعارة وقال صاحب اليونانيين: "البلاغة تصحيح الاقسام واختيار الكلام" وقال ابن الرومي: "البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة" ويقول الفارسي: "هي معرفة الفصل من الوصل" ويقول غيرهم: "جماع البلاغة التماس حسن الموقع، و المعرفة بالساعات القول وقلة الحذق بما التيسر من المعاني وغمض، وبما شرد عليك من اللفظ والتعذر".

العذراء: "وبالحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم.

## الفصل الثالث: رسالة العذراء لإبن المدبر

**التضمين:** لقد اتسع نطاق التضمين مما أدى إلى إهتمام النقاد به، وربما كان الداعي إلى تحديده هو الخوف من أن يتلبس بالسرقة ومن ثم نجد ابن رشيق يعرفه بصورة واضحة فيقول "التضمين هو قصدك إلى البيت من الشعر أو القسم فتأتي به في آخر شعرك أو في وسطه"<sup>1</sup> ولقد ضمن ابن المدبر في رسالته العذراء مجموعة من الاشعار ولقد برزت في :

تضمينه شعر محمود وراق\*:

س ومن يصاحب الأملاك

كل من حل سرّ من رامن النا

قال للكلب يا جعلت فداكا

لو رأى الكلب ماثلا في الطريق

ومن شعر عبد الملك الزيات\*\*:

أم نلت ملكا فتهدت عن كتبك

أحلت عما عهدت من أدبك

اخوان نقصا عليك في حسبك

أم هل ترى أن في التواضع لل

حسبك مما يزيد في تعبك

أتعبت كفيك في كتابتي

يكتب في صدره وامتع بك

إن جفاء كتاب ذي أدب

وتضمنيه أيضا شعر محمد بن عبد الملك<sup>1</sup>:

فلن تراه يخط في كتبك

أنكرت شيئا فلست فاعله

يعيش في الممات في ادبك

فاعف فدتك النفوس عن رجل

<sup>1</sup> - أحمد حسن حامد ، نفس المرجع السابق، ص 19..

\* محمود وراق: هو محمود بن حسن احد شعراء الموالى في العصر العباسي الاول ولد بعد سنة 220هـ و توفي في 835م .

\*\*عبد الملك الزيات هو ادب وشاعر عربي ولد 789 وتوفي 847

## الفصل الثالث: رسالة العذراء لابن المدير

وكل شيء أنال من سبيك

فعد بفضل علي في أدبك

كيف أخون الإخاء يا أملي

إن يك جهلا أتاك من قلبي

وشعر ابن هاني في قوله:

حتى شكلت عليه بالإعراب

هو بآبنه وشعره مفتون

ففاه وجه يشبه الشمسا

قدرك فيها قد تعديت

لسان مرد من حزم الفؤاد

جمعك معنا هن في بيت

نفسك عنه وظر للزيت

لم ترض بالأعجام حسين كتبته

وشعر حبيب أوسي الطائي:

وسيء بالاحسان ظنا لا كمن

وقول ابن أبي كريمة:

قفاه وجه حسن والذي

قول محمد بن عبد الملك:

رقيت في القول الى الخطة

وقال طائي:

وصما كانت الحكماء قالت

ويقول ابن جهم

أحسن من عشرين بيتا سدا

ما أحوج الملك إلى مطرة

قول حبيب بن أوسى

## الفصل الثالث: رسالة العذراء لابن المدبر

لك القلم الأعلى الذي بشباته      تصاب من الأمر الكلي والمفاصل

سهل بن بركة :

بأبي وأمّي ضاعت الأحلام؟      أم ضاعت الأذهان والأفهام؟

من صدّ عن دين النبي محمد      آله بأمر المسلمين قيام؟

إلا تكن أسيافهم مشهورة      فينا فتلك سيوفهم أقلام

وضمن ابن المدبر من النثر فمثلا تضمين من صحيفة بشر بن المعتمر "فراغ قلبك ساعة نشاطك، بالكد والتكلف".

وتضمين أيضا قول عبد الرحمن بن كيستان "استعمال القلم أجدر بإحضار الذهن عند تصحيح الكتاب من استعمال اللسان على تصحيح الكلام".

وقول الرومي: البلاغة وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة.

قيل للهندي: ما البلاغة؟ فأخرج صحيفة مكتوبة عندهم فيها: أوّل البلاغة احتمال آلة البلاغة، وذلك أن يكون البليغ رابط الجاش، ساكن الجوارح، قليل اللخط، متخير اللفظ، لا يكلم سيّد الأمة بكلام الأمة... إلخ

وضمن من القرآن الكريم في قوله "بأي آلائه هو أعمل، إذا حصص الحق، ودعى إلى السبق، وفهمته" تضمين من سورة يوسف آية 51 وقوله أيضا "تقسم الفكر، واشتراك القلب، والله مستعان" تضمين من سورة سيدنا يوسف آية 19، "ولكنه بقى أن ينضمه في سلكه مع شقائقه

## الفصل الثالث: رسالة العذراء لابن المدبر

كاللؤلؤ المنتور" تضمين من سورة الإنسان الآية 19. وهن التضمين من الآيات هو تضمين جزئي وهو أن تدرج بعض الآية والخبر في ضمن كلام فيكون وجزءا منه.<sup>1</sup>

**الاقتباس:** وهو تضمين الكلام شيئا من القرآن أو الحديث ويعد الاقتباس من فنون البديع الذي يعمل على تزين الألفاظ والمعاني والعرب كانوا يزينون رسائلهم بشيء من القرآن ومعانيه وذلك لجمال أسلوبه وقوة حجته.

ولقد اقتبس ابن المدبر من القرآن الكريم مجموعة من آيات وتمثلت في قول الله تعالى ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾\*

- ﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾\*\*
- ﴿وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾\*\*\*
- ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾\*\*\*\*
- ﴿فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾\*\*\*\*\*
- ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾\*\*\*\*\*

ولقد اقتبس ابن مدبر أيضا من الحديث في رسالته وتمثل في قول الرسول صلى الله عليه وسلم "فذاك أبي وأمي"

وقوله أيضا " لا تجعلوني كقدح الراكب ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره".

<sup>1</sup> - أحمد حسن حامد ، نفس المرجع السابق، ص 20.

\* الآية 156 من سورة البقرة

\*\* الآية 176 من سورة آل عمران

\*\*\* الآية 82 من سورة يوسف

\*\*\*\* الآية 192 من سورة سبأ

\*\*\*\*\* الآية 192 من سورة آل عمران

## الفصل الثالث: رسالة العذراء لابن المدبر

وقوله "إن معاشر الأنبياء بكاءون".

أما المحسنات البديعية لقد تنوعت وتعددت في رسالة العذراء لابن المدبر .

بين السجع والجناس والطباق والمقابلة:

أ- السجع: هو صنعة لفظية فيها بعض الفواصل الكلام المتشور وله لذة في القلوب والآذان<sup>1</sup>، وهن ما وجدناه في رسالته العذراء فقد تخللها السجع بكثرة حتى أصبح السيمة المميزة في الرسالة وذلك في قوله: " أن أتف بك على وزن عذوبة اللفظ وحلاوته، وحدود فخامة المعنى وجزالته، ورشاقة نظم الكتاب ومشاكله سرده، وحسن افتتاحه وختمه، وانتهاء فصوله، واعتدال وصوله".

"استوهب الله توفيقا نستنجح به مطالبك، واستمنحه رشدا يقبل إليك بوجه مذهبك، فاقصد في ارتيادك، وتأمل الصواب في قولك وفعلك". من يتسع به منطقك، ويهذب به لسانك، ويطول به قلمك، وأمثال الفرس ورسائلهم، وعهودهم وتوقيعاتهم، وسيرهم ومكايدهم في حروبهم "

"والطبقة الثانية الوزراء والكتاب الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وألستهم ويرتقون الفتوق بآرائهم، ويتعلمون بآدابهم: الثالثة أمراء ثغورهم، وقواد جيوشهم، يخاطب كل امرئ منهم على قدره مما حمل من أعباء أمورهم وجلائل أعمالهم" وقد حرص ابن المدبر على استعمال السجع الذي يحقق موسيقى وتمثل في " أن يكون بهي الملبس، نظيف المجلس، ظاهر المروءة، عطر الرائحة، دقيق الذهن، صادق الحس، حسن البيان، رقيق حواشي اللسان، حلو الإشارة، مليح الاستعارة"، "فرقت شماله، وبددت جمعه، ونقضت برمه، وافسدت صلاحه

<sup>1</sup> - ابن نسام الشنبريني "الدخيرة في محاسن أهل الجزيرة" مجلة ثامن، دار الثقافة بيروت لبنان 1997، ص 639

وضغضغت بنيانه، مع ذكائه وتفطنه، ومكايدة ودهائه، وأصالة رأيه وشدة شكيمة... " ولقد اعتمد ابن المدبر على السجع من بداية رسالته حتى النهاية حيث أنه لم يلتفت عنه إلا في عبارات قليلة فاستعمل إيقاع عذب وألفاظ رشيقة وفواصل هامسة.

ب- الجناس: وسمي هذا النوع من الكلام مجانسا لأن حروف ألفاظه يكون تركيبها من جنس واحد، وحقيقته أن يكون اللفظ واحد والمعنى مختلفاً، وعلى هذا فإنه اللفظ المشترك<sup>1</sup>، والجناس في رسالة العذراء تمثل في: " إقرار ← إضرار" الأشعار ← الأجرار" ، " القامة الهامة"،

مكيّسا ← محيّسا" ، " الاضمار ← إظهاره" ، "تجعل ← تعجل". " السائر ← الغابر"، "كتب ← كاتب"، "اللفظة ← اللحظة"، "سائر ← دائرا" والجناس الذي استعمله ابن المدبر هو جناس الناقص.

ج- الطباق والمقابلة: هي من محسنات اللفظية والمعنوية وهي التضاد ومجاورة الأضداد ولقد استعمل ابن المدبر الكثير من التضاد في هذه الرسالة فتمثل الطباق في طباق إيجاب:

"افتتاحه ≠ ختامه" ، سكون ≠ حركة، "سؤال ≠ جواب"، "متقدمين ≠ متأخرين"، "الخير ≠ الشر"، "الشريف ≠ الوضيع"، "يؤخر ≠ يقدم" ، "امره ≠ هنيه"، "الليل ≠ النهار"، "تصغير ≠ تعظيم"، "أول ≠ آخر"، "خفي ≠ ظاهر" ، "متكلم ≠ أخرس"، "يمينك ≠ شمالك"، "قليل ≠ كثير"، "سهلة ≠ صعبة"

<sup>1</sup> - جلال الدين السيوطي، جنس الجناس " دار الفنية للطباعة والنشر تحقيق محمد علي رزق الحفاجي ، ص 200.

الطباق السلب " عبر ≠ لم يعبر"، " يصلح ≠ لا يصلح"، " تجعل ≠ لا تجعل" "تحصيه ≠ لا تحصيه"، "يحسن ≠ لا يحسن"، "يمدح ≠ لا يمدح"، "تجوز ≠ لا يجوز"، "عظم ≠ لا تعظم"، "غضب ≠ لأغضب"، "مدح ≠ لم يمدح"

والمقابلة تمثلت في " مخاطبة العام وبالخاص ————— وبالخاص بالعام"

"إذا وجد كثير ملاءة ← إذا وجد قليل كفاه".

ألا يؤتي سامع من سوء إفهام الناطق ← ولا يؤتي الناطق من سوء فهم السامع.

د- الصور البيانية: ولقد تنوعت الصور البيانية في رسالة العذراء من استعارة وتشبيه وكناية ونجدها عفوية غير متكلفة بسيطة وغير معقدة فإستعارة وهي نقل الكلمة عن شيء قد وضعت له إلى شيء لم توضع له<sup>1</sup>. وتمثلت في:

"عذوبة اللفظ وحلاوته" تشبيه اللفظ بالماء في عذوبته ونقاؤه وحلاوته، فحذف المشبه به وهو الماء وصرح بالمشبه عذوبة الحلاوة "استعارة مكتبة" "رشاقة نظم الكتابة" تشبيه الكتابة بجسم أو شخص الرشيق فحذف المشبه به وهو الإنسان ورمز له بالرشاقة "استعارة مكنية"، تزن الكلام في مخاطبتهم بميزانهم "شبه الكلام بالشيء، الذي نزنه سواء كان شيء أو طعام إلى غير ذلك فحذف المشبه به وهو الشيء الذي يوزن رمز إليه بالكلام، " لما تناولت القلم تداعت على معاني من كل جهة" "إلباسك المعنى" شبه الإنسان الذي يلبس الثياب بإلباس المعنى فحذف المشته به وهو الإنسان ورمز إليه باللباس فهي استعارة مكنية.

<sup>1</sup> - إبي طاهر محمد بن حيدر البغداوي "فانون البلاغة في نقد النثر والشعر، مؤسسة الرسالة ص 90، من تحقيق الدكتور محسن عياض عجيل.

## الفصل الثالث: رسالة العذراء لابن المدبر

أمّا الكناية وهي ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره أو هي لفظ أريد به غير معناه الذي وضع له وتمثل الكناية في الرسالة "خوض بحار البلاغة" كناية عن تعمق في البلاغة "تلقيح ذهنك" كناية عن أخذ العلم "اغتناب الألفاظ" كناية عن استعمال الألفاظ في غير أماكنها.

**التشبيه:** تمثل في: فإن محل القلم من الكاتب محل الرمح من الفارس ولكن قيل كأنه الرد في نقد قال الكاتب: كأنه القلم البحري فقد شبه ابن المدبر القلم بالنسبة للكاتب كالرمح بالنسبة للفارس وذلك لأهميته بالنسبة للكاتب وأيضا تشبيهه في قول الرسول صلى الله عليه وسلم "لا تجعلوني كقدح الراكب ولكن اجعلوني في أول الدعاء وأوسطه وآخره" شبه تأخير الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم بقدح الراكب لأن الراكب يعلق قدحه في آخر رحله عن فراغه من رحاله ويجعله خلفه.

"واعلم أن الألفاظ في غير أماكنها كترقيق الثوب الذي لم يشتهه رقاعه" شبه استعمال الألفاظ في غير موضوعها كالثوب الذي يرقع بغير رقاعه، ولكنه بقى عليه أن ينظمه في سلوكه مع شقائقه كاللؤلؤ المنثور الذي يتولى نظمه الحاذق

قفاه وجه حسن والذي      قفاه وجه يشبه الشمس

ونرى من خلال دراستنا لرسالة العذراء أنها تضمنت كل الخصائص الفنية للرسالة من تضمين واقتباس، وقد جاءت هذه الاقتباسات تفيد الاقناع بالمنطق واقامة الحجة بالدليل والبرهان، ومحسنات بديعية وتمثلت في السجع بكثرة، وتمثلت في جمل قصيرة وعبارات متوازنة أعطت إيقاعات صوتية في الرسالة جاءت لتأدية الفكرة بعبارات مختلفة للأداء موسيقى، الطباق

## الفصل الثالث: رسالة العذراء لإبن المدبر

---

والمقابلة وجناس واستعماله أيضا لصور البلاغة من استعارة وكناية والتشبيه جاءت واضحة غير متكلفة وذلك لجعل ألفاظه ملكاً لعامة الناس دون أن يخل بالسبك اللغوي الرصين في أسلوبه.

الخاتمة

### خاتمة :

بما أن لكل بداية نهاية فإننا نختتم قولنا لهذا البحث الذي كان موضوعه "فن الترسل رسالة العذراء أنموذج" بمجموعة من النتائج والملاحظات وتمثلت فيما يلي: الرسالة هي فن نثري جميل وهو ما يكتبه المرسل الى المرسل اليه في غرض من اغراض الرسالة

• تكون إما شفوية أو مكتوبة ولقد تعددت أنواع الرسائل وتنوعت منها الرسائل الديوانية والرسائل الإخوانية والرسائل الأدبية.

• فالرسالة الديوانية هي الرسائل الصادرة عن الملوك والأمراء يوجهها إلى عمالهم وقواد جيوشهم وهي أيضا تتمثل في الرسائل الصادرة عن العمال إلى الأمراء ولقد تنوعت موضوعاتها من رسائل جهاد التي كان يوجهها الخلفاء إلى قوادهم يكلفونهم فيها بالغزو ويزينون إليهم الجهاد ورسائل التهاني التي كان يهنئ فيها بعضهم البعض بما حققوه من انتصارات وظفر بالأعداء وأيضا عاجلت الرسائل الديوانية شؤون وأحداث داخلية للدول وتناولت الفتن واضطرابات.

• الرسائل الإخوانية فتمثلت في الرسائل التي كان يرسلها الكاتب إلى اصدقائهم وهذه الرسائل كانت تصور عواطف الأفراد ومشاعرهم وتنوعت موضوعاتها من رسائل تهنئة واعتذار واستعطاف وتعزية وغيرها.

- الرسائل الأدبية كانت ترسل إلى الناس جميعاً ولا توجه إلى شخص بذاته وتناولت موضوعات أدبية .
- إن فن الترسل مر بعصور في تطوره فنرى أن العصر الجاهلي لم يعط للنثر أهمية بل كان عصر الشعر.
- الرسالة في العصر الجاهلي استعملها الكتاب لأغراض سياسية وتجارية فقط .
- الرسالة في العصر الإسلامي تطورت قليلاً لأن الرسول صلى الله عليه وسلم عمد إلى استعمال الرسالة لتأييد الدعوة الإسلامية ونشر الإسلام واعتمدت على الإيجاز وأصبحت الرسالة تعتمد على اقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف بكثرة.
- الرسالة في العصر الأموي والعصر العباسي، أخذت الرسالة شروط وقواعد متنوعة فأصبحت تعتمد على السجع بكثرة والتأنق في التعابير والجمل ودقة التعبير والميل إلى ضروب البديع والاعتماد على الصور الفنية والميل إلى الإطناب في العبارات.
- الخصائص الفنية من اقتباس وتضمين وإيجاز وإطناب ومحسنات بديعية "جناس، سجع، طباق ومقابلة والصور الفنية "استعارة، كناية، تشبيه" جعلت للرسالة ضوابط تقوم عليها وزادت الرسالة قوة ورصانة.
- ومن خلال تحليلنا لرسالة العذراء لابن المدبّر وجدنا أن ابن المدبّر وضع لكتاب الرسائل والأدوات التي تمكن الكاتب والبليغ من الإجادة والتفوق في الكتابة.

# قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

• المصادر:

1 القرآن الكريم

2 ابن بسام الشنتريي " الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة" مجلة ثامن ، دار الثقافة بيروت لبنان  
1997،

3 الجرجاني السيد شريف ابي حسن علي بن محمد بن علي الحسيني الخفصي "التعريفات" ، دار  
الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000.

4 الفراهدي الخليل بن أحمد ، كتاب العين، المجلد الثالث، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة  
الأولى 2003، 1424.

5 الهاشمي السيد أحمد "جواهر الأدبيات وانشاء لغة العرب"، دار المعرفة بيروت لبنان، طبعة الثانية  
1428-2007 .

6 القلقشندي "صبح الأعشى" الجزء الرابع عشر، دار كتاب السلطانية بالمطبعة الأميرية قاهرة  
1338هـ - 1919م.

7 انيس إبراهيم ، منتصر عبد الحليم ، الصواحي عطية ، محمد خلف الله أحمد "معجم الوسيط"  
الجزء الثاني، دار الفكر.

8 ابن منظور جمال الدين بن مكرم - لسان العرب- مجلد 11 دار صادر بيروت لبنان، الطبعة  
الرابعة.

9 العسكري ابو هلال "كتاب الصناعتين الكتابة والشعر" تحقيق علي محمد بجاوي ومحمد أبو

الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، الطبعة الثانية.

- 10 براينس جيرالد "قاموس السرديات" ترجمة السيّد إمام، مرست للنشر والمعلومات: الطبعة الأولى.
- 11 الحموي شهاب الدين ابي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي "معجم الأدباء محلب الأول مؤسسة المعارف بيروت- لبنان ص 213-214 حققه دكتور عمر فتروق الطباع
- 12 بن الاثير ضياء الدين ، "المثل السائر في أداب الكاتب والشاعر" القسم الأول دار النهضة مصر للطبع والنشر الفجالة، القاهرة.
- 13 الفيروز ابادي محب الدين محمد بن يعقوب "قاموس المحيط" الجزء الثاني ، دار الإحياء التراث العربي بيروت لبنان، طبعة جديدة محققة الأولى.
- 14 يعقوب، د: رميل بسام بركة، د، مي شيخاني "قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية"، دار العلم للملايين بيروت، لبنان، الطبعة الأولى فيراير 1987.

### • المراجع

- 1 البгдаوي ابي طاهر محمد بن حيدر "قانون البلاغة في نقد ج النثر واشعر، مؤسسة الرسالة . من تحقيق الدكتور محسن عياض عجيل.
- 2 ضيف شوقي "العصر العباسي الأول" دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.
- 3 القزويني الخطيب "الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار العلمية بيروت لبنان، الطبعة الأولى 1424 هـ ، 2002 م.

- 4 الهاشمي السيد أحمد ، "جواهر الأدب في الأدبيات وانشاء لغة العرب " ج1 دار الجيل، طبعة جديدة محققة ومنقحة.
- 5 توات الطاهر "أدب الرسائل في المغرب العربي في القرنين السابع و الثامن الهجريين، الجزء الثاني، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الثانية، مزيدة ومنقحة.
- 6 القزويني الخطيب "التلخيص في علوم البلاغة" دار الفكر العربي، الطبعة الأولى 1904.
- 7 أبي حسن إسحاق بن إبراهيم بن سليمان بن وهب "الكاتب" برهان في وجوه لبيان " تحقيق دكتور جفني محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسائل.
- 8 حامد أحمد حسن ، "التضمن في العربية بحث في البلاغة والنحو" دار العربية للعلوم ودار الشروق، الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م.
- 9 صفوت أحمد زكي ،جمهرة رسائل العرب في العصور العربية القاهرة العصر الجاهلي وعصر الإسلام، المكتبة العلمية لبنان ، الادكا، .
- 10 فيود بسوني عبد الفتاح ، علم البيان دراسة تحليلية لمسائل البيان، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الثانية، 1425 هـ - 2004 م .
- 11 قميحة جابر " أدب الرسائل في صدر الإسلام" الجزء الأول عهد النبوة، دار الفكر العربي القاهرة، الطبعة الأولى 1406 هـ - 1976 م .
- 12 يوسف حسني عبد الجليل "علم البديع بين الإبداع والإبداع دراسة نظرية وتطبيقية في شعر الخنساء، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر تليفاكس الإسكندرية، الطبعة الأولى 2007م.
- 13 يوسف نحي عبد الجليل "الأدب الجاهلي قضايا وفنونه ونصوصه " مؤسسة المختار لنشر

والتوزيع القاهرة - الكعبة الأولى 1421 - 2001م.

- سقال ديزيره "علم البيان بين النظريات والأصول"، دار الفكر العربي بيروت، الطبعة الأولى 14 1997.
- زمخشري تحقيق: محمد باسل عيون السود أساس البلاغة"، دار الكتب العلمية بيروت لبنان 15
- ابو زيد سامي يوسف "الأدب الاسلامي والأموي"، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 16 الطبعة الأولى 2012 م - 1433 هـ .
- ابو زيد سامي يوسف "الأدب العباسي النشر"، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، الطبعة 17 الأولى 2011م-1432 هـ .
- ضيف شوقي "الفن ومذاهبه في النثر العربي" دار النشر العربي" دار المعارف 1119 18 كورسيت النيل القاهرة، الطبعة العشرة.
- منصور شعيب حسين "حركة حياة الأدبية بين الجاهلية والإسلام، دار القلم الكويت، 19 الطبعة الأولى 1401هـ - 1981م.
- صلاح الدين السفداي، "كتاب جنان الجناس في علم البديع" مطبعة الجوانب القسطنطينية 20 سنة 1299.
- الهروط عبد الحلیم حسین "النثر الفني عند لسان الدين فن الخطيب" دار جبر لنشر والتوزيع ، 21 الطبعة الأولى.
- حربوش عبد الرحمن "علم البديع دراسة تحليلية لأهم أنواع البديع"، دار الغرب للنشر 22 والتوزيع.

- 23 عتيق عبد العزيز ، علم البيان، دار الأفاق العربية، الطبعة 1424 هـ - 2004م .
- 24 عتيق عبد العزيز ، في النقد الأدبي، دار النهضة العربية بيروت لبنان، الطبعة الأولى.
- 25 نبوي عبد العزيز ، دراسات في الأدب الجاهلي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع القاهرة، الطبعة الثالثة 1427-2006.
- 26 الرباعي عبد القادر ، الصورة الفنية في النقد شعري الدراسة في النظرية والتطبيق، دار جرير لنشر والتوزيع، الطبعة الأولى 1420 هـ 2009م.
- 27 خفاجي عبد المنعم "الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثانية 1980.
- 28 خفاجي عبد المنعم "تاريخ الأدب في العصر العباسي"، مكتبة الكليات الأزهرية الأزهر القاهرة، الطبعة الثانية 1401هـ-1981م.
- 29 الاشقر عبد المنعم سيد عبد السلام "نظرات في علم البديع" مطبعة الأمانة، الطبعة الأولى 1416هـ - 1995م.
- 30 الدقاق عمر "مواكب الأدب العربي عبر العصور" ريع الدار المخصص لصالح ابناء الشهداء في القطر العربي السوري ديمشق، الطبعة الأولى 1988.
- 31 الفروخ عمر ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة السابعة 1997.
- 32 الفروخ عمر ، تاريخ الأدب العربي الأعصر العباسية، دار العلم للملايين بيروت - لبنان الطبعة الرابعة 1401هـ - 1981م .

- 33 القيس فايز عبد النبي فلاح "أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس هجري، دار السير ، الطبعة الأولى.
- 34 عيسى فوزي سعد "الترسل في القرن الثالث الهجري" دار المعرفة الجامعية اسكندرية، طبعة 1991 م .
- 35 عيسى فوزي ، الرسالة الأدبية في النثر الأندلس، دار المعرفة الجامعية كلية الآداب، جامعة الإسكندرية.
- 36 بدوي احمد، "كتاب أسس النقد الأدبي عند العرب"، دار النهضة مصر الطبعة سبتمبر 1996، ص 494.
- 37 مجموعة من العلماء والباحثين "الموسوعة العربية العالمية" حرف الراء- الزاد، مؤسسة الأعمال الموسوعية للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية.
- 38 المقداد محمد "تاريخ فن الترسل النثري عند العرب في صدر الإسلام" ، دار الفكر المطبعة العلمية بدمشق الطبعة الأولى 1413 هـ 1933م.
- 39 محي الدين محمد أحمد قاسم "علوم البلاغة البديع والبيان والنعاني" المؤسسة الحديثة للكتاب طرابلس لبنان- الطبعة الأولى 2003 .
- 40 المصري محمد عبد الغني ، مجد محمد الباكير البرازي، تحليل النص الأدبي بين النظرية والتطبيق، دار الوراق، الطبعة الأولى 2005.
- 41 كالو محمد محمود ، عالم البيان، جامعة أديامان كلية العلوم الاسلامية ، الكعبة 1442-.
- 42 جبران محمد مسعود "فنون النثر الأدبي في آثار لسان الدين بن الخطيب" الجلد الثاني، دار

- المدار الاسلامي، الطبعة الأولى 2004،.
- 43 حجاب محمد نبيه ، بلاغة الكتاب في العصر العباسي دراسة تحليلية نقدية لتطور الأساليب، مكتبة الطالب الجامعي، طبعة الثانية 1406هـ - 1986 م.
- 44 محمود رزق سليم، الأدب العربي وتاريخه في العصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث " دار الكتاب العربي.مصر، الطبعة 1377هـ - 1957م.
- 45 صالح محمود عبد الرحيم "فنون النثر في الأدب العباسي"، دار جرير لنشر والتوزيع عمان، الطبعة الثانية 1426 هـ 2006.
- 46 القط مصطفى البشير "مفهوم النثر الفني وأجناسه في النقد العربي القديم" دار اليازوري العلمية لنشر والتوزيع الأردن، عمان ، الطبعة 2009.
- 47 عاصي ميشال "الفن والأدب" ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية 1970.
- 48 مناع هاشم صالح ، د مأموم محمود ياسين ، النثر العربي في العصر العباسي، دار يافا للنشر والتوزيع الأردن عمان .
- 49 ينظر الشيخ حمدي ،للتطور والتحديد في الأدب الإسلامي والأموي، المكتب الجامعي الحديث، الطبعة الأولى 2012.
- 50 ابو العدوس يوسف "مدخل إلى البلاغة العربية علم المعاني - علم البيان - علم البديع"، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة عمان، الأردن ، الطبعة الأولى 2007م - 1427هـ، الكعبة الثانية 2010م - 1430هـ.

- عيد يوسف ، دفاتر أندلسية، مؤسسة الناشر " طرابلس " الطبعة الأولى 2006م.
- 51 ينظر محمود رزق حامد "الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي" دار العلم والايمان للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2010 .

الفهرس

الفهرس

تشكرات

خطة البحث

أ..... مقدمة

1..... مدخل: فن الترسل وأنواعه

1-..... فن الترسل وأنواعه

أ..... مفهوم الفن

1..... -لغة

1..... -اصطلاحا

3..... ب. مفهوم الترسل

3..... -لغة

4..... -اصطلاحا

6..... أنواع الرسائل

6..... الرسائل الديوانية

8..... الرسائل الإخوانية

9..... الرسائل الأدبية

11..... فصل الأول: نشأة وتطور فن الترسل

11..... المبحث الأول: نشأة وتطور فن الترسل

11..... أ. مرحلة العصر الجاهلي

12..... أ. مرحلة العصر الإسلامي

16	..... مرحلة العصر الأموي: .....
16	..... أنموذج من رسالة في العصر الأموي .....
18	..... مرحلة العصر العباسي .....
19	..... الفصل الثاني: الخصائص الفنية للرسالة.....
19	..... المبحث الأول: شكل الرسائل .....
21	..... الموضوع .....
25	..... الخاتمة: .....
27	..... المبحث الثاني: البناء الفني للرسائل.....
31	..... الإطناب والإيجاز .....
31	..... 1 التبيه إلى الشيء .....
31	..... 2 الإيضاح والايهام .....
31	..... 3 التوسيع .....
31	..... 4 التكرار .....
32	..... 5 الإيغال .....
32	..... 6 الاعتراض .....
32	..... 7 التديل .....
32	..... 8 الاحتراس والتكميل .....
33	..... 9 التميم .....
33	..... الطباق والمقابلة.....
34	..... -طباق الايجاب .....

34	-طباق السلب
35	المقابلة
36	السجع
36	1المطرّف:
36	2المرقع
36	3المتوازي
36	1السجع القصير
37	2السجع الطويل
37	الجناس
38	الجناس التام
38	أ.اختلاف اللفظين في أنواع الحروف
38	ب.اختلاف اللفظين في عدد الحروف
38	ج.اختلاف اللفظين في هيئة الحروف
38	الجناس المحرف
38	الجناس المصحف
38	د.اختلاف اللفظين في ترتيب الحروف
38	التشبيه
39	أغراض التشبيه
39	1بيان إمكان وجود المشبه
40	2بيان حال المشبه

40	3 بيان المشبه
40	4 تقدير حال المشبه
40	5 تزين المشبه
40	6 تقبيح المشبه
40	الخيال والتصوير
41	الخيال الابتكاري
41	الخيال التأليفي أو التوفيقي
41	الخيال البياني أو التفسيري
41	1 الاستعارة التصريحية
41	2 الاستعارة المكنية
42	1 كناية صفة
42	2 كتابة موصوف
47	المبحث الثاني: تحليل الرسالة "العدراء" لإبن المدبر
51	التضمين
54	الاقْتباس
58	خاتمة
67	الفهرس